

جامعة جيلالي بونعامة بخميس مليانة

كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة تاريخ



## التنافس الإنجليزي – الألماني في العراق 1871-1918

مذكرة تخرّج لنيل شهادة ماستر تخصّص الظاهرة الاستعمارية في الوطن العربي

إشراف الأستاذ :

أ. محرز أمين

إعداد :

رخاوي راضية

شعون محمد فروق

الموسم الجامعي 2016 / 2017

## الأهداء

الحمد لله الذي نفتتح بحمده الكلام والحمد لله الذي حمده أفضل ما جرت به الأقلام  
سبحانه لا نحصي له ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه وهو ولي الانعام  
أهدي هذا العمل المتواضع إلي من أفاضت عليّ بدعواتها وبركاتها  
إلى من جعلت الجنة تحت أقدامها، إلى من يهتز لتضرعها عرش الرحمان،  
إلى توأم الوجدان، حفظها الله، إلى أمي الغالية.  
إلى شمعة دربي التي أعتز بها، حفظه الله  
وأدامه فوق رؤوسنا، إلى أبي العزيز.  
إلى من عشت معهم في السراء والضراء إخوتي وأخواتي : يعقوب،  
خديجة، فاطمة، حفيظة، نسرين، وليد، لخضر، حنان، حميدة، عائشة.  
إلى براعم العائلة : رناج، لقمان، هارون، شوقي، شروق، معاذ، محمد، زهير.  
إلى جميع أصدقائي : فاروق، صبرينة، خديجة، فايزة، زهور، رتيبة،  
مريم، سليمة، رشيدة، سعاد، مونية، ربيعة، صورية، ليلي، فضيلة،  
حياة، حنان، قمر، جميلة، فاطمة الزهراء، منال، حميد، صدام، محمد.  
إلى كل من أملك مكانة في قلبه ويملك مكانة في قلبي، من قريب أو بعيد.

الطالبة: راضية

## الأهداء

إلى روح أبي الطاهرة الذي كانت غاية المنى لديه رؤية أبنائه  
يحققون النجاحات في دراستهم وحياتهم المستقبلية  
وكم تمنيت أن يكون إلي جانبي في هذه اللحظات  
إلى والدتي الغالية التي صبرت وتحملت وكافحت من أجل تربيتنا وتعليمنا  
وأمدتني بالقوة والعون وساندتني في أوقات الشدة والفرح  
وأوصلتني بدعواتها إلى برّ الأمان ونبع الإيمان  
إلى كلّ أفراد العائلة الكريمة  
إلى أصدقاء العمر بدون استثناء  
إلى زملائي في دفعة الليسانس والماستر،  
وأخصّ بالذكر زميلتي في المذكرة : راضية  
إلى هؤلاء أهدي ثمرة هذا البحث المتواضع  
وأتمنى أن تكون لاقته رضى المولى عزّ وجلّ

الطالب: شعون محمّد فاروق

## شكر وعرفان

نشكر الله عزّ وجلّ الذي سدّد خطانا ووفّقنا لإنجاز هذا العمل،  
فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:  
"من استعاذكم بالله فأعذوه، ومن سألكم بالله فأعطوه،  
ومن أتى إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجدوا فادعوا له."  
عملاً بقوله صلى الله عليه وسلم نتقدّم بأسمى عبارات التقدير إلى أستاذي  
الكريم محرز أمين الذي بصرنا بنور بصيرته وصفاء فؤاده فلم يبخل علينا يوماً  
بنصائحه وتوجيهاته رغم التزاماته ومسؤولياته، أتقدّم بخالص الشكر وعميق  
الامتنان وفائق التقدير والاحترام متمنية له دوام الصحة والعافية.  
كما لا ننسى كافة الاساتذة الأجلاء الذين لم يبخلوا علينا  
بنصائحهم وتوجيهاتهم التي قدّموها لنا.  
ونتقدّم أيضاً بخالص الشكر والعرفان  
للدكتور العراقي عبد الله علوان نزار  
الذي ساعدنا كثيراً، فله منّا جزيل الشكر.  
وإلى كلّ من ساعدنا من قريب أو بعيد فهي إنجاز هذا العمل.

## 1. نبذة تاريخية عن العراق:

### 1-1. حدود العراق:

تعد بلاد ما بين النهرين إحدى الدول العربية الكبرى التي تقع في القسم الغربي من قارة آسيا، وتتحصر بين هضبة الأناضول والخليج العربي، وعمان، وعدن جنوباً، وبين بادية الشام والهضبة الإيرانية، والبحر الأحمر غرباً، والدولة العثمانية شمالاً، وبلاد فارس شرقاً<sup>1</sup>.

وكان العراق في العهد العثماني مقسم إلى أربع ولايات، وهي:

- ولاية بغداد: كانت أقوى ولايات العراق وأهمها، لما كانت تتمتع به من مكانة عظيمة، وشهرة فائقة بين مدن العالم الإسلامي، وكانت أكبر مركز ثقافي وإقتصادي في العراق.<sup>2</sup>
- ولاية البصرة: كانت تعاني وضعاً شاذاً، فهي من ناحية كانت تفصلها عن بقية الدول العثمانية تضاريس وعرة وقاحلة؛ ومن الناحية الأخرى، باعتبارها محاذة لبلاد فارس وتقطنها قبائل عربية وكردية محبة الحرية، كانت على الدوام موضوعاً للنزاعات والغارات الفارسية ومسرحاً لانتفاضات عربية وكردية متعددة منذ السيطرة التركية.
- ولاية الموصل: وتشمل الجزء الشمالي الغربي من العراق وتمتد جنوباً إلى تكريت؛ وكانت ممراً للقوافل التجارية التي كانت تربط بين بلاد فارس، والصين من جهة وبلاد الأناضول والشام من جهة أخرى.
- ولاية شهرزور (کردستان): تقع إلى الشرق من ولاية الموصل، وكانت مدينة كركوك مركز هذه الولاية.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> إبراهيم الفاعوري، تاريخ الوطن العربي، دار الحامد، عمان، 2011، ص. 105.

<sup>2</sup> الكسندر أداموف، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، تر. د. هاشم صالح التكريتي ج. 1، دار النشر، العراق، ص.

## 1-2. التركيبة البشرية:

لم يكن العراقيون شعباً واحداً أو جماعة سياسية واحدة، وهذا ما أدى إلى وجود الكثير من الأقليات العرقية والدينية في العراق، كالأكراد والتركمان والفرس والآشوريون، والكلدانيون ؛ وكان العرب هم الذين يشكلون أكثرية سكان العراق<sup>2</sup>. ومن أهم القبائل الموجودة في العراق نذكر:

- آل عبد الله وتوجد في قضاء النجف، وهي قبيلة شيعية مستقرة تعمل بالزراعة، ويعتبرها البعض جزءاً من قبيلة جهالة.
- قبيلة عيدان توجد على ضفتي شط العرب خصوصاً على الضفة اليمنى أسفل مدينة البصرة مباشرة.
- قبيلة عطب توجد على شط العرب بين البصرة.
- قبيلة جهيش توجد في الناصرية بقضاء كربلاء، يعملون بالزراعة وتربية الماشية<sup>3</sup>.
- قبيلة الجنابيين توجد على الضفة اليسرى لنهر الفرات، وهم مشهورين بالشجاعة والكرم، ويعملون بالزراعة والحراسة وأحياناً بالسرقة ؛ وليس لديهم بيوت ثابتة ويقطن عدد كبير منهم في بغداد، أما الريفيون منهم، فهم على صداقة وطيدة مع قبيلة المسعود.
- قبيلة الكرد توجد في مدن وقرى عديدة على نهر دجلة وشط الغراف، وهي قبيلة عربية بالرغم من إسمها ويعملون بالزراعة وتربية الماشية، ويعيشون في أكواخ ومنازل من الطين.

---

<sup>1</sup> حلمي محروس اسماعيل، تاريخ العرب الحديث من الغزو العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الأولى، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2004، ص. 23.

<sup>1</sup> حنا بطاطو، العراق الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية من العهد العثماني حتى قيام الجمهورية، تر. عفيف الرزاز، ج. 1، ط. 1، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1990، ص. 31.

<sup>3</sup> ج. ج. لوريير، دليل الخليج، القسم الجغرافي، ج. الترجمة بمكتب صاحب السمو أمير دولة قطر، ص. 926.

- قبيلة زميلات هي قبيلة تابعة لقبيلة المسعود، ومع أنهم مستقرون إلا أنهم كانوا يمتنون للصوصية.
- قبيلة بني ربيعة موجودة على الضفة اليمنى لنهر دجلة من بغيلة إلى الشيخ سعد، وعلى الضفة اليسرى مقابل إلى الكوت العمارة وكذلك في قضاء الكاظمية.
- قبيلة القطارنة توجد في قضاء القرنة، وخاصة في قرى كتيبان وجزيرة الصغيرة على الضفة اليسرى لشط العرب، فوق مدينة البصرة، ويشكلون العناصر الأساسية للسكان.
- قبيلة قريط توجد في قضاء الهندية على الجانب الغربي من شط الهندية فوق طويرج، وهي قبيلة مستقلة من الشيعة، ويعملون بالزراعة وتربية المواشي.<sup>1</sup>

### 1-3. المواصلات:

أما فيما يخص المواصلات في العراق، فهي عبارة عن أنهار كبرى تشكل وسيلة ممتازة للنقل، من الخليج إلى بغداد والمسيب، بينما يؤمن شط العرب وسيلة للتنقل في القنوات المتشابكة، وهو يشكل أفضل واسطة مائية للمواصلات في الأماكن الصالحة في نهري دجلة والفرات، ويؤمن إلتقاء نهري دجلة والفرات عند القرنة وسيلة مواصلات جيدة وكذلك القنوات المختلفة مثل الجهالة والحسينية، بالإضافة إلى المستنقعات والبحيرات العديدة والمتصلة بالأنهار، التي تستطيع القوارب السير فيها بصعوبة، وعلى وجه العموم، فإن الطرق البرية في العراق لا وجود لها وليست هنالك حاجة ماسة إليها، وتعرض هذه الطرق وتتفوق عليها الطرق والقنوات المائية في المناطق الأهلة بالسكان.

ولذا لم تكن هنالك من حاجة لخطوط ثابتة للمواصلات، ولكن هناك استثناءات هامة جدا لهذه القاعدة ولا بد من الإشارة إليها في الشمال، وهي الطرق من بغداد إلى الشمال

<sup>1</sup> لوريمر، المصدر السابق، ص. 978.

الغربي، والطرق من بغداد إلى كربلاء، ومن كربلاء إلى النجف، ومن الجنوب الطريق الممتد من البصرة حتى الحدود التركية.<sup>1</sup>

#### 1-4. الخصائص الطبيعية للعراق:

يتباين مناخ العراق من منطقة لأخرى، فالمناطق الغربية والغربية الجنوبية يسودها مناخ صحراوي قاري، يكون شديد الحرارة صيفا وبارد قليل الأمطار شتاء ؛ أما المناطق الوسطى والجنوبية، فهي ذات مناخ حار صيفا، وغزيرة الأمطار شتاء، هذا إضافة إلى الثلوج فوق المرتفعات.

أما بالنسبة للتضاريس، فتوجد بالعراق ثلاثة أقاليم لها ميزات خاصة، وهي:

- **المنطقة الجبلية:** تتمثل هذه المنطقة عشرون بالمئة من مساحة العراق وتشمل الجهة الشمالية والشمالية الشرقية للعراق، التي تحتوي على الجبال والمرتفعات من بينها: جبال الزاب، وجبال مكحول، والعطشان.
- **الهضبة الصحراوية:** وتقع هذه الهضبة في غرب العراق تتميز بانتشار التلال الصغيرة والوديان، وإشداد التعرية وقلة الأمطار فيها، إضافة إلى إنحدار سطحها نحو السهل الرسوبي، باتجاه الشرق، بينما تتجه مجاري الميادين من الغرب إلى الشرق.<sup>2</sup>
- **السهل الرسوبي:** ويقع هذا السهل وسط وجنوب العراق، يحيط بنهري الدجلة والفرات، ويحتل خمس مساحة العراق، تكون هذا السهل نتيجة الترسبات التي جلبتها مياه الأنهار، ملأت بها الإلتواء المقعر الكبير الذي تحتله.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> لوريمر، المصدر السابق، ص. 1006.

<sup>2</sup> نخبة من المثقفين العراقيين، حضارة، ج.1، دن، بغداد، 1985، ص ص. 29-31

<sup>3</sup> عاطف السيد، الغزو الأمريكي البريطاني للعراق، 2003، ص. 10.



## 2. العراق في الفترة العثمانية:

### 2-1. سياسيا:

توسعت الدولة العثمانية من جهة الشرق حتى وصلت إلى الحدود الشمالية الغربية لفارس الشيعية، وكانت مجهودات العثمانيين مركزة في الميدان الأوروبي حتى ظهرت الدولة الصفوية على يد الشاه إسماعيل، حيث اشتبكوا مع الفرس في حرب لم تلبث أن أدت إلى حرب أخرى بينهم وبين المماليك في مصر ؛ وترجع أسباب الحرب بين الدولتين العثمانية والصفوية إلى أن الأتراك منذ دخولهم في الإسلام كانوا الحماة التقليديين للمذهب السني، أما الدولة الصفوية في فارس، فقد قامت على أنقاض دولة الآق قويونلو التركمانية السنية، حيث أعلن الشاه إسماعيل في أعقاب إنفراده بالحكم أن التشيع مذهب البلاد الرسمي، وقرر أن ينشره إلى أقصى درجة ممكنة، حيث تطلع إلى الإستيلاء على العراق أولا لوجود العتبات الشيعية المقدسة (النجف وكربلاء)، وطمعا في خيرات سهول العراق.<sup>1</sup>

وإستولى الشاه إسماعيل على العراق، وقام بنشر المذهب الشيعي بقوة، وأراق بذلك دماء علماء المذهب السني، فأنار بذلك ثائرة السلطان العثماني سليم الأول، الذي رد على استفزازات الشاه بأن شن حربا على الدولة الفارسية ؛ ودارت المعركة الحاسمة بين سليم الأول والشاه إسماعيل في وادي جالديران عام 1514، وانتصر سليم، ولكنه لم يستولي على العراق باستثناء المنطقة الكردية الشمالية، ومنطقة الموصل التي ضمها إليه.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داوود باشا، دار الكتاب العربي، القاهرة، د.ت، ص 5-6.

<sup>2</sup> نفسه، ص. 6.

## • الفتح العثماني للعراق:

في عهده، توفي الشاه إسماعيل الصفوي تاركاً كخليفة له طهمااسب ؛ وبلغت الدولة العثمانية في عهد سليمان أوج قوتها، حيث قام بالعديد من الفتوحات، مما جعله يشرع في ضم العراق الأوسط والجنوبي، الذي كان تحت حكم الصفويين آنذاك. و كان السنيون قد قاموا بالإستجداد به، لإنقاذهم من ضغط الصفويون ؛ وهذا ما أدى إلى تدهور العلاقات العثمانية-الصفوية من جديد، فقام سليمان بتجهيز حملة قوية وعبر بها شمال غربي فارس، دون مقاومة حتى وصل إلى سهل العراق وصار قاب قوسين من بغداد<sup>1</sup>. وإستطاع أن يهزم الصفويين مما دفع بحاكمهم إلى الفرار إلى قلب فارس، وهنا دخل سليمان بغداد وضمها إلى الدولة العثمانية، وعين واليا عليها.<sup>2</sup>

## • ظهور المماليك في العراق:

لقد كان في العراق نظام الحكم المملوكي الذي بدأ عهده منذ منتصف القرن 12هـ، ولم يستطع مماليك العراق أن يفرضوا أنفسهم بقوة على البلاد كلها، وإنما تحكّموا فقط في المدن العراقية مع أن الغالبية العظمى من التشكيلة البشرية كانت قبلية متصارعة فيما بينها، أو ثائرة ضد حكومة المماليك، حتى إن تاريخ المماليك كان سلسلة متواصلة من قتال بينهم وبين القبائل العربية، أو الكردية أو صراعات بين الأكراد بعضهم مع بعض أو بين العشائر نفسها، أو بين العشائر العربية والعشائر الكردية. و لأجل ذلك، أصيب العراق بتدهور إقتصادي متواصل، في الوقت الذي كان فيه نشاط شركة الهند الشرقية البريطانية في الخليج العربي وفي العراق يتصاعد سنة بعد أخرى على حساب إقتصاديات وتجارة المنطقة<sup>3</sup>. ومن أهم المماليك الذين حكموا العراق نذكر منهم:

<sup>1</sup> أحمد زكريا الشلق، العرب والدولة العثمانية من الخضوع إلى المواجهة، 1516-1916، ط. 1، مصر العربية للنشر والتوزيع، 2002، ص. .

<sup>2</sup> سليمان نوار، المرجع السابق، ص. 6.

أحمد اسماعيل ياغي، تاريخ العالم الربي، د.ط، مكتبة العبيكان، د.م، 2003، ص. 198.

## • سليمان باشا أبو الليلة 1750-1762:

كان أول من تولى الحكم في العراق من المماليك، حيث قام بالدفاع عن بغداد عند حصارها من قبل نادر شاه عام 1732 ؛ ولقد أظهر همة كبيرة في الإدارة والحكم، وأصبح العدو المخيف للعشائر الثائرة، وفي عهده أصبح الطريق من بغداد والبصرة سواء عن طريق الفرات أو دجلة أو البر آمنة، حتى للمسافرين دون حماية قبيلة من القبائل، الأمر الذي شجع الكثير من تجار إيران على اختيار طريق بغداد-البصرة على بلادهم التي كانت تسودها الفوضى والإضطرابات.

بلغ نفوذ المماليك القمة في عهده، حيث أكثر من إستخدامهم في الوظائف المهمة، فكان منهم الكتبة والجباة، وقادة الحاميات، مما أدى ذلك إلى حرمان الأسرة التركية والبغدادية من نصيبها من النفوذ، ولكن هذا الأخير توفي عام 1762.

## • عمر باشا:

شهد عهده أحداثا جساما، كان أولها ثورات مع العديد من العشائر، ثم الطاعون الذي وفد من إسطنبول إلى مدن العراق، وداهم بغداد سنة 1772، وعاد مجددا عام 1774، لتشهد إضطرابات الحالة في كردستان، في وقت كانت فيه الدولة العثمانية في ختام حربها مع روسيا التي إنتهت بمعاهدة كوجك كينارجي، وتمكن الإيرانيون في عام 1775 من فرض حصار على البصرة، الأمر الذي جعل السلطان يلتفت إلى العراق وقد كان الإعتقاد في الآستانة في بداية الأمر أن السبب الأكبر في هذا النزاع مع إيران هو عمر باشا، حيث فكر الجميع في التخلص من حكم المماليك في العراق، غير أن ذلك ليس بالأمر الهين، إذ قد تندلع ثورة المماليك في بغداد، فقد تسللوا من بغداد تدريجيا وابتغوا حول الكتخدا عبد الله آغا، وأخذوا يهددون بغداد ويشنون الغارة على أطرافها وتمكنوا من إحتلال بعض المواقع.

### • عهد عبدالله باشا 1776-1778:

تميز عهده بالضعف، فلم تكن لديه المعرفة والقدرة على حكم بغداد ؛ وإتبع سياسة مالية سيئة اتسمت بالتعسف إلى حد أنها أجبرت الكثير من التجار إلى الهروب من بغداد.<sup>1</sup>

### • عهد سليمان باشا الكبير 1780-1802:

عرف عصره بالعصر الذهبي لفترة حكم المماليك في العراق، حيث قام بالقضاء على تمرد العشائر الخزاعل في منطقة الفرات الأوسط.<sup>2</sup> وفي عام 1782، عم قحط شديد على العراق أتبعته المجاعة انتشرت الأمراض ؛ فأدى هذا إلى نشوب ثورة عارمة في بغداد، ولكن سليمان باشا استطاع القضاء على هذه الثورة، وتوفي هذا الأخير في 1802.

### • عهد داوود باشا 1816-1831:

هو آخر ولاية المماليك في العراق، وتميز عهده بمتغيرات سياسية كبيرة كان من أبرزها بدء حركة الإصلاحات في العراق، وقد تمكن في بداية حكمه من إخضاع العشائر الثائرة، كعشائر بني تميم والنجادة من الدفاعة وبني عمير ؛ ولكن سرعان ما تفاقمت عليه الأمور، وأحاطت به الأخطار من كل جانب، لأن جيوش إيران أخذت تتحرك نحو العراق. إلا أن داوود باشا واجه بعد حين خيانة بعض رجال حكومته فلم يكن يدري أن من عينه قائدا لإنكشارية بغداد (عليوي آغا) أنه كان جاسوسا للشاه زادة محمد علي ميرزا. وتميز عهده بحركة إصلاحات لاسيما في المؤسسة العسكرية، فشرع بتأسيس جيش نظامي، كما احتكر داوود باشا المنتجات العراقية وتصديرها، واستملك البواخر التجارية الصغيرة النهرية والبحرية.

<sup>1</sup> سعدي عبد الله، المرجع السابق، ص. 345.

<sup>2</sup> علي الورد، لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج. 1، دار الراشد للطباعة والنشر، بيروت، ص ص.

## • علي رضا باشا:

لقد اتبع علي رضا قبل دخوله بغداد سياسة التودد إلى المماليك لسماع قراءة فرمان الخاص بتوليته باشوية بغداد، وفي الأثناء ملأ الدار بالجنود المسلحين، ولما اجتمعوا غادر بحجة الوضوء، فانقض الجند عليهم وقتلوهم جميعا ؛ وهكذا انتهى حكم المماليك الذي دام أكثر من ثمانين عاما، فعاد العراق إلى الحكم العثماني المباشر.<sup>1</sup>

## 2-2. الحياة الإقتصادية:

### ❖ الزراعة:

أخذ العراق يعاني تدهورا من الناحية الإقتصادية إبان العهد العثماني، حيث تعاقب على إحتلاله مرات عديدة الإيرانيون والعثمانيون. وبالنسبة للدولة العثمانية، كان نظام الأرض والزراعة يهدف إلى تزويد عسكريها وموظفيها المدنيين بموارد العيش، فقامت بعد إحتلالها للعراق بعملية مسح شامل للأراضي الزراعية، غير أنها لم تتغير من طريقة توزيع الأرض، ولم يكن هناك جديد في نظام الضرائب الزراعية ؛ إلى جانب ذلك، منحت السلطة العثمانية كبار الموظفين وبعض الحكام والجنود الإقطاعيين أراضي زراعية، وكان حق السلطة على صاحب الإقطاع يتمثل بأن يكون دوما مستعدا للمشاركة في الحرب وتهيئة ماعليه من مستلزمات.

وكان هناك نوع آخر من الأراضي المملوكة أو بعبارة أخرى الملكيات الفردية، التي تركت لأصحابها كأمالك خاصة مع دفع الضرائب عنها، وهي تعتبر قليلة في العراق قياسا إلى أراضي الإقطاع ؛ أما الصنف الآخر من الأراضي، فهو الأراضي المشاعة التي لم يكن يملكها فرد، وإنما يتصرف بها سكان القرية بمجموعها، ويشمل ذلك المراعي

<sup>1</sup> سعدي عبد الله، المرجع السابق، ص. 357.

بشكل خاص، وكثيرا ما عمدت السلطة العثمانية إلى إنتزاعها من الفلاحين وإدخالها في ملكيتها كنوع من العقاب تجاه المتمردين.

لقد انعكست الأوضاع السيئة على مجمل عملية الإنتاج الزراعي، إذ لم تستغل الأرض إستغلالا جيدا، ليس فقط بسبب إنعدام الحافز لدى الفلاح، باعتباره في واقع الأمر أجيرا لها، وإنما كان للأوضاع السياسية وفقدان الأمن تأثيره في تقليص مساحات الأرض المزروعة، فكثيرا ما أدت الحملات العسكرية التي يوجهها الولاة لإخضاع العشائر إلى إحراق المحاصيل وإتلافها وترك الأرض بور دون زراعة، إلى جانب الكوارث الطبيعية من فياضانات والآفات، مثل الفيضان الذي تعرضت له بغداد في 1831.<sup>1</sup>

إن السوق الخارجية وبخاصة الأوروبية، صارت تحدد نوع وكم الإنتاج الزراعي في العراق ؛ وتبعاً لذلك، فإن منتجات زراعية وحيوانية كثيرة وجدت لها طريقاً للتصدير إلى الخارج، إلا أن التطور الزراعي في العراق ظل كسيحاً، ولم يتناسب مع قدراته الزراعية، إلى أن قام الوالي المصلح مدحت باشا (1869-1872) ببعض الإصلاحات لتحديث الزراعة وتوسيع الأراضي المزروعة، عن طريق إعفاء الآلات الزراعية الحديثة من الرسوم الجمركية وتوزيع البذور المحسنة على الفلاحين.<sup>2</sup>

### ❖ الصناعة الحرفية:

في مطلع العصر الحديث، كان للتطورات السياسية والإقتصادية التي شهدتها المشرق العربي تأثيرها في الإنهاك الإقتصادي العام الذي أصاب العراق، فإلى جانب عدم الإستقرار السياسي الذي حفلت به الحقبة العثمانية، كانت الصناعة الأوروبية قد أخذت تنتشط بالشكل الذي خلق منافسة متزايدة من جانب البضائع الأوروبية للصناعات المحلية، وبالطبع لم تعمل الدولة العثمانية على حمايتها بالرسوم الجمركية المرتفعة، بل بالعكس

<sup>1</sup> سعدي عبد الله، المرجع السابق، ص. 494.

<sup>2</sup> نفسه، ص. 495.

سهلت للأوروبيين سبل التجارة وقدمت لهم أخفض تعريفات جمركية، يضاف إلى ذلك أن الحروب والكوارث الطبيعية التي كان يتعرض لها العراق، قد ساهمت في إنقراض عائلات حرفية ماهرة ؛ رغم تراجع الصناعة، فإن مراكز المدن الرئيسية لم تفقد أهميتها الصناعية، وبخاصة في ميدان صناعة المنسوجات الصوفية والقطنية والحريرية، والصناعات في مجملها كانت تعتمد أساساً على الموارد الخام المحلية، خصوصاً في مدينة الموصل، كما تأسست في بغداد والبصرة ورشات صناعية لصناعة السفن المحلية، واشتهرت السليمانية بصناعة الأسلحة وبخاصة البنادق.

قصارى القول، كان مستوى التطور الصناعي في العراق في فترة السيطرة العثمانية متدنياً جداً.<sup>1</sup>

#### ❖ التجارة:

مع مطلع القرن السادس عشر ميلادي، تعرض العراق إلى مزيد من التدهور بإحتلال الصفويين له عام 1508 وإخضاع تجارته في مجمل حركتها بما يخدم تطلعاتهم. كانت التجارة الداخلية قد بقيت بعد الفتح العثماني للعراق كما كانت العصور السابقة، من إستمرار تأخر وسائل النقل والمواصلات، وإنعدام الأمن في الطرقات وعجز السلطة العثمانية عن توفير الحماية الكافية.

أما بالنسبة للطرق التجارية، فقد كانت على نوعين، وهي الطرق البرية الرئيسية وأهمها: طريق بغداد-البصرة، وطريق بغداد-الموصل ؛ ولكن هذه الطرق كانت دائماً تتعرض للأخطار باستمرار، لذا كانوا يفضلون النوع الثاني من الطرق وهي النهرية وهي: الطريق النهري بين الموصل- وبغداد وطريق بغداد-الموصل الذي كان يعد طريقاً للتجارة الداخلية والخارجية معاً، إلا أن التجارة العراقية شهدت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر قفزات واضحة لأسباب عديدة منها:

<sup>1</sup> سعدي عبد الله، المرجع السابق، ص ص. 496-500.

1- تخفيض التعريفة الجمركية العثمانية على السلع المصدرة من أراضيها عام 1861.

2- تنظيم المواصلات التجارية بين الموانئ الهندية والبصرة.

3- تأسيس مكاتب البريد والتلغراف في أنحاء مختلفة من العراق.<sup>1</sup>

4- فتح قناة السويس للملاحة سنة 1869 أسهم في تسهيل إتصال العراق بأوروبا عن طريق البصرة.

5- إصلاحات مدحت باشا في العراق خلال الفترة 1869-1872، أسهمت في تغيير وسائل الإنتاج لاسيما الزراعية منها وتطوير وسائل المواصلات النهرية والبرية. كل هذه الأسباب، أدت إلى توافد الشركات الأوروبية لاسيما البريطانية منها على العراق للحصول على ما ينتجه القطر من محاصيل زراعية، ومنتجات حيوانية. كما تحولت أسواق العراق إلى مستودعات للصناعة الغربية، وقد سبب ذلك السيل الواسع من السلع غير الإنتاجية تقليص إنتاج الحرفيين المحليين، ومن ثم توقفهم عن العمل ؛ وأدى بالنتيجة إلى نشوء ظاهرة تبعية الإقتصاد إلى الإقتصاد الرأسمالي الأوروبي.<sup>2</sup>

## 2-2. التنظيمات العثمانية في العراق:

دخل العراق كجزء من الإمبراطورية العثمانية عهد التنظيمات وأعلن عن وضع قوانين جديدة لاكتشاف مدى قابلية الأهالي لهذا الإتجاه الجديد.<sup>3</sup> إلا أنه وطيلة فترة (1839-1839) لم ينجح أي أحد من الولاة الذين جاؤا قبل مدحت باشا في فرض الإصلاح الذي وعد به خط كلخانة 1839، وخط الهمايوني 1856، ولم

<sup>1</sup> سعدي عبد الله، المرجع السابق، ص. 508.

<sup>2</sup> نفسه، ص. 509.

<sup>3</sup> عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي (1922-1516)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ص. 229.



يصل شيئاً من تلك الوعود الإصلاحية إلى حيّز التنفيذ إلا في عهد مدحت باشا، أحد أبرز رواد الإصلاح آنذاك<sup>1</sup>، الذي أدرك فور إسناده حكم ولاية العراق (1869-1872) أن العراق يعيش في حالة مزرية، حيث قام بفتح المعاهد العلمية، ونشر العدل والأمن في الربوع العراقية، وأسس مؤسسات صحية وثقافية وإدارية نافعة، وأدى خدمات كثيرة للعراق<sup>2</sup>، حيث كان نشاطه منطلقاً من العراق نحو الخليج العربي واحد من أهم المشروعات التي نفذها وأعدت للعراق دوره في الخليج العربي<sup>3</sup>.

### ❖ التنظيم الإداري:

قام مدحت باشا بوضع تنظيم جديد للتقسيم الإداري للبلاد، حيث وضع ولايتان فقط هما ولايتا بغداد والبصرة، والثانية ولايتي الموصل وشهرزور، وقسمت هذه الولايات إلى ألوية وأقضية<sup>4</sup>، فأرسى بذلك دعائم الإدارة الجديدة الأولى في العراق التي كانت كفيلة بخلق إدارة مركزية منظمة يكون مركزها بغداد وتتولى الإشراف على شؤون القطر بأكمله<sup>5</sup>.

### ❖ تنظيم القضاء:

تم الأخذ بمبدأ الفصل بين السلطات التنفيذية والقضائية، وأنشئ ديوان التمييز للنظر في الدعاوي القانونية المستأنفة<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> تقي الدباغ، العراق في التاريخ، دار الجيل للطباعة والنشر، بيروت، 1983، ص. 624.

<sup>2</sup> عبد الرزاق الحسني، تاريخ العراق السياسي الحديث، ط. 7، ج. 1، دار الرافدين للطباعة والنشر، دم، ص. 41.

<sup>3</sup> عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ العرب المعاصر (مصر والعراق)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1973، ص. 404.

<sup>4</sup> نفسه، ص. 357.

<sup>5</sup> Stephen Hemsley, Longgrig, Four centuries of modern Irak, trad. djaafar khiat, Oxford up, 1925, p. 225.

<sup>6</sup> سعدي عبدالله، المرجع السابق، ص. 447.

## ❖ التنظيم العسكري:

لجأ مدحت باشا فور تولية أمر ولاية العراق إلى تنفيذ نظام القرعة على المكلفين بالخدمة العسكرية في بغداد، ولكنه تجنب تطبيقها بين أهل العشائر خشية إثارة شكوكها بنوايا الحكومة، لأنهم كانوا رافضين لعملية التجنيد، ولكنه لم يتردد في استخدام القوة في حمل السكان على قبول فكرة التجنيد، فبلغ الجيش في عهده درجة لم يبلغها من قبل من حيث العدد والتجهيز.<sup>1</sup>

## ❖ تنظيم الضرائب:

قام مدحت باشا بإلغاء جميع الضرائب وخاصة تلك الضرائب القديمة التي لا تزال تُجبي في بعض النواحي من العراق، فألغى ضرائب النكال<sup>2</sup> والصيحة<sup>3</sup> والداوودية<sup>4</sup> ومنع المصادرات<sup>5</sup> وألغى الرسوم المفروضة على الخيول والأغنام<sup>6</sup>.

## ❖ المواصلات:

قام بتشكيل الشركة الحكومية المسماة "الإدارة العثمانية النهرية"، وأصلح بواخرها القديمة، ثم شرع بشراء بواخر جديدة ذات حمولات كبيرة، وأسس لهذا الغرض محطات الوقود في مسقط وعمان، وبندر عباس، وبوشهر؛ أما المشروع الثاني الذي أنشأه مدحت في حقل المواصلات، فهو ترامواي بغداد الكاظمية، حيث قام بتشجيع أهالي بغداد للتعاون

<sup>1</sup> سعدي عبدالله، المرجع السابق، ص. 444.

<sup>2</sup> هو أن يدفع القاتل ألف شامي، أنظر: غانوي بعيو، التنظيمات العثمانية وآثارها على الولايات العربية الشام والعراق نموذجا 1839-1876، مذكرة ماستر في التاريخ الحديث و المعاصر، المركز الجامعي خميس مليانة، 2010، ص. 236.

<sup>3</sup> غرامة يدفعها من يعتدي على العفاف، أنظر: نفسه، ص 236.

<sup>4</sup> ضريبة موزعة على البيوت، أنظر: نفسه.

<sup>5</sup> كان الولاة المماليك يصادرون الأموال إذ ما أرادوا ذلك ولكن قلّت هذه المصادرات في عهد الحكم المباشر، أنظر: نفسه.

<sup>6</sup> ضريبة كانت تفرضها العشائر على من يمر على أراضيها، أنظر: نفسه، ص. 23.

مع الحكومة وتأسيس شركة مساهمة، وفي غضون عام إنتهى العمل في السّكة، وافتتح المشروع عام 1871.<sup>1</sup>

### ❖ التعليم والثقافة:

كانت ولاية العراق أكثر إستفادة من إجراءات التنظيمات في مجال التعليم والثقافة، فكانت أبرز انجازاته في هذا الميدان إنشاء عدد كبير من المدارس، وإدخال النّظم الحديثة عليها، مثل: المدرسة الرشدية المدنية، المدرسة الإعدادية العسكرية، ومدرسة مهنية سمّيت مدرس الفنون والصّنائع ؛ وجعل المدرسة في خدمة البيئة التي كانت في أشد الحاجة إلى الأيدي الفنية والصناعية المدربة، ونجح في أن يغطي معظم مصروفات المدرسة من دخل إنتاجها<sup>2</sup>.

---

<sup>1</sup> سعدي عبدالله، المرجع السابق، ص. 447.

<sup>2</sup> غانيو بعيو، المرجع السابق، ص. 241.

## التغلغل البريطاني في العراق :

يعود تاريخ المصالح البريطانية في العراق إلى بدايات القرن السابع عشر و يمكن تتبع تلك المصالح من خلال نشاط اثنتين من الشركات التجارية البريطانية العاملة في الدولة العثمانية و في منطقة الخليج العربي، و هما : شركة الشرق الأدنى، و شركة الهند الشرقية. تأسست شركة الشرق الأدنى بعد حصول وليم هاربون الذي كان يمثل تجار لندن على فرمان من السلطان العثماني مراد الثالث (1595-1574) في سنة 1580 منح بموجبه التجار الإنكليز حق ممارسة النشاط التجاري في الأراضي العثمانية. و إثر هذا النجاح، أصدرت ملكة بريطانيا اليزابيث الأولى (1603-1558) مرسومًا في سنة 1581، خولت بموجبه أولئك التجار الذين قاموا بتلك المحاولة حق المتاجرة وحدهم مع ممتلكات السلطان العثماني<sup>1</sup> ؛ و كان هذا المرسوم بداية تأسيس شركة الشرق الأدنى التي ظلت قائمة حتى سنة 1825، و أصدرت الملكة اليزابيث مرسومًا آخر سنة 1592، منحت بموجبه الشركة حق احتكار التجارة البرية مع الهند عبر الأراضي العثمانية<sup>2</sup>.

كانت علاقة الشركة بالعراق تكمن منذ البداية، في كون تلك الإيالة همزة وصل بين حلب، حيث يوجد مقر الشركة، و بين مناطق إنتاج الحرير الخام في بلاد فارس و الذي كان سلعة أساسية ضمن مستوردات الشركة من الشرق ؛ و نشطت الشركة أيضًا في مجال استيراد العفص من أطراف الموصل و ديار بكر في القرن السابع عشر. و منذ القرن الثامن عشر، تطورت علاقات الشركة مع مدن العراق الرئيسية، و لا سيما في تجارة الأقمشة و المنسوجات الصوفية مع بغداد و الموصل و البصرة، و بحلول منتصف

<sup>1</sup>- ريد بلورد، بريطانيا و الشرق الأوسط، تر. حسن أحمد السلطان، بغداد، 1956، ص. 14.

<sup>2</sup>- صالح خضر محمد، الدبلوماسية البريطانية في العراق، 1831-1914، ط. 1، دار الزمان، دمشق، ص. 15.

ذلك القرن أصبحت شركة الشرق منافسًا قويًا لشركة الهند الشرقية الإنكليزية أيضًا في البصرة<sup>1</sup>.

أما شركة الهند الشرقية الإنكليزية، فبدأ تاريخها مع بداية القرن السابع عشر، ففي 1599 تكوّنت في لندن شركة تجارية طلبت من الملكة اليزابيث الأولى الإذن لها بالاتجار مع الشرق، و في سنة 1600 أصدرت الملكة مرسومًا موجهًا إلى جورج إيرلند كمبرلاند و العديد من التجّار و الحكّام و الفرسان لتكوين مؤسّسة باسم "حاكم و شركة تجارة لندن للتجارة مع الهند الشرقية للتجارة مع الشرق، و عرفت باسم شركة الهند الشرقية الإنكليزية<sup>2</sup>.

و قد قدّر لهذه الشركة أن تأخذ طابعًا سياسيًا فيما بعد و تؤدي دورًا مهمًا في توطيد النفوذ و الهيمنة البريطانية في الهند و منطقة الخليج العربي، حيث بعد سنوات قليلة على تأسيسها نجحت شركة الهند الشرقية في إقامة مركز تجاري لها في سورات على الساحل الغربي من الهند سنة 1612، و بعد وقت قصير من ذلك بدأت الشركة علاقاتها مع منطقة الخليج العربي، فقد كانت تنتظر منذ بداية تكوينها إلى اتخاذ ميناء ليكون مركزًا لتجارتها بتلك المنطقة، و عليه أقامت منذ سنة 1616 علاقات تجارية مع فارس عبر ميناء جاسك، و أتبع ذلك حصولها على فرامين من الشاه عبّاس الأول (1588-1624) لصالح التجارة الإنكليزية في بلاد فارس، و تمّ إقامة مركزين للشركة في شيراز سنة 1617 و آصفهان سنة 1618، و استمرّت العلاقات الحسنة بين الشركة و بلاد فارس خلال السنوات القليلة التالية، و بدا ذلك واضحًا في تحالف الطرفين و نجاحهما في طرد البرتغاليين من هرمز سنة 1622، و أعقب ذلك نقل مركز الشركة من ميناء جاسك إلى ميناء بندر عباس سنة 1623، لكن الشركة واجهت صعوبات عدّة في بلاد فارس بعد

1 - عبد الأمير محمد أمين، المصالح البريطانية في الخليج العربي، 1743-1778، تر. مكي حبيب المؤمن، دن، بغداد، 1977، ص. 60.

2 - صالح محمد العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي، 1798-1810، بغداد، 1979، ص.

وفاة الشاه عباس الأول، كما واجهت منافسة قوية من شركة الهند الشرقية الهولندية هناك<sup>1</sup>.

و دفع ذلك شركة الهند الشرقية الإنكليزية إلى البحث عن منافذ أخرى لتجارتها، و قادها إلى إقامة أول اتصال تجاري مع البصرة، حيث وصلت أول سفينة صغيرة تابعة للشركة و هي محملة بالبضائع إلى البصرة سنة 1635<sup>2</sup>؛ و لكن الشركة لم تصادف نجاحًا هناك في البداية بسبب النشاط البرتغالي في البصرة<sup>3</sup>، و مع ذلك واصلت الشركة جهودها لتنشيط تجارتها في البصرة و أسست مركزًا تجاريًا لها هناك سنة 1643<sup>4</sup>، و في سنة 1645 قرّرت الشركة نقل ممتلكاتها من بندر عباس إلى البصرة بسبب الخلاف بين الفرس و الهولنديين، و لكن الامر لم يستقر لتجارة الشركة في البصرة، ذلك أنّ الهولنديين وجّهوا أنظارهم إلى البصرة بعد تسوية خلافاتهم مع الفرس و بدأوا بمنافسة التجارة الإنكليزية هناك، ممّا دفع الشركة إلى اغلاق مركزها في البصرة، و بقيت التجارة الإنكليزية ضعيفة فيها حتّى بدايات القرن الثامن عشر عندما بدأ أفول المنافسة الهولندية<sup>5</sup>.

و منذ سنة 1723، أسست الشركة مقرا دائماً أو مقيمة في البصرة، ولم تلبث الشركة أن حصلت على امتيازين من والي البصرة أولهما قضائي، في سنة 1728 منح للشركة حقّ محاكمة العمّال المحليين الذين تستخدمهم<sup>6</sup>، و ثانيهما تجاري، حيث تمّ استيفاء الرسوم الجمركية على البضائع التي تتاجر بها الشركة في سنة 1731، و مع أنّ تطوّر

1- أمين، مرجع سابق، ص 14.

2- جمال زكريا قاسم، الخليج العربي، دراسة لتاريخ الامارات العربية في عصر التوسع الأوربي الأول، 1507-1840، القاهرة 1977، ص ص. 98-100.

3- أمين، مرجع سابق، ص. 19.

4- زكي صالح، بريطانيا و العراق حتّى عام 1914، بغداد، 1968، ص. 54.

5- صالح، مرجع سابق، ص ص. 55-56.

6- عبد الأمير محمد أمين، القوى البحرية في الخليج العربي في القرن الثامن عشر، بغداد، 1966، ص ص. 13-15.

الصراع العثماني الفارسي في العقد الرابع والخامس من القرن الثامن عشر، قد أثر سلبا في تجارة الشركة في البصرة، إلا أن وضع الشركة ونشاطها التجاري هناك قد تحسن بعد ذلك بدرجة كبيرة، ففي سنة 1759 أصدر أول ولاية المماليك في العراق و هو سليمان باشا (1750-1762) أمراً أكد فيه الامتيازات التي سبق و أن حصل عليها الإنكليز في الدولة العثمانية، و قد غدت البصرة واحدة من أكثر المراكز التجارية أهمية في الشرق بالنسبة للإنكليز، وفي سنة 1763 رفعت الشركة درجة مقيمة البصرة إلى وكالة بعد إغلاق وكالتها في بندر عباس<sup>1</sup>.

و مع انشاء وكالة للشركة بدأت مساعي العاملين فيها لتعزيز نفوذ الشركة تجارياً و سياسياً، و نجحوا من خلال السفير البريطاني في إسطنبول هنري قرنفل في الحصول على فرمان من السلطان العثماني مصطفى الثالث (1757-1773)، و ذلك في سنة 1764 تضمن اعترافاً بالبصرة بوصفه ميناءً خاضعاً للامتيازات الأجنبية و بوكيل شركة الهند الشرقية قنصلاً لبريطانيا هناك<sup>2</sup>.

و أثار هذا النجاح حفيظة غريمته شركة الشرق الأدنى التي كانت تعد العراق ضمن منطقة امتيازها و تطوّر الأمر إلى نزاع بين الشركتين انتهى بقرار شركة الهند الشرقية بالتخلي عن الامتياز القنصلي الذي حصلت عليه<sup>3</sup>.

واجهت الشركة في سبعينات القرن الثامن عشر أوضاعاً أخرى في البصرة أدت إلى تراجع نشاطها التجاري هناك، و من ذلك وباء الطاعون الذي انتشر في البصرة سنة 1773، ثم الحصار و الاحتلال الفارسي للبصرة (1776-1779) في عهد كريم خان الزند (1759-1779) ؛ و نتيجة لذلك تمّ إنزال وكالة الشركة في البصرة إلى مقيمة في

<sup>1</sup> - إبراهيم عبد العزيز الغنى، حكومة الهند البريطانية و الإدارة في الخليج العربي، دن، الرياض، 1981، ص. 91.

<sup>2</sup> - أمين، المصالح البريطانية في الخليج العربي، مرجع سابق، ص. 138-139.

<sup>3</sup> - أمين، نفس المرجع السابق، ص. 134.

سنة 1779، و من الجدير بالذكر أنه اصبح لمقيم الشركة في البصرة وكيل أهلي في بغداد منذ سنة 1783<sup>1</sup>.

يمكن القول أنّ المصالح التجارية البريطانية في العراق إبان القرنين السابع عشر و الثامن عشر، كانت غير مستقرّة و شهدت مراحل من الانتعاش و التدهور، مع كون النشاط التجاري للشركات الإنكليزية فيه نشاطاً فرعياً بالنسبة لعلاقتها التجارية مع مناطق أوسع و أكثر أهميّة مثل الهند<sup>2</sup>.

و لم تقتصر المصالح البريطانية في العراق قبل القرن السابع عشر على التجارة فحسب، بل كانت هناك مصلحة أخرى ربّما فاقتها أهمية و نعني بذلك كون العراق همزة وصل أساسية في الاتصالات البريطانية مع الشرق عموماً، و الهند على نحو خاص من خلال استخدام طريق البصرة - حلب الصحراوي أو طريق البصرة - بغداد - حلب و هو الطريق الذي ارتادته مجموعة من تجّار شركة الشرق الأدنى منذ سنة 1583، فمنذ افتتاح أوّل مركز تجاري لشركة الهند الشرقية في بلاد فارس كتب ادوارد كانوك أوّل وكيل للشركة هناك إلى حلب يسأل قنصلها البريطاني أن ينظم البريد بين حلب و الخليج العربي عبر بغداد و البصرة<sup>3</sup>.

حظي العراق بأهمية متزايدة منذ القرن التاسع عشر لبريطانيا التي أخذت تسعى إلى ترسيخ نفوذها فيه تدريجياً، و يرجع ذلك إلى تطوّر المصالح البريطانية في العراق بشكل مطرد إبان تلك الحقبة، و قد تمثلت تلك المصالح في :

#### المصالح السياسية - الاستراتيجية :

كانت هذه المصالح حصيلة أمرين أوّلهما المنافسات الدولية في المنطقة و حرص بريطانيا على الدفاع عن وجودها و ممتلكاتها الاستعمارية في الهند<sup>4</sup>، و ثانيهما أهمية العراق في المواصلات بين الهند و أوروبا، و من هنا جاء اهتمام بريطانيا بمقاومة أية قوة

1- أمين، المصالح...، المرجع السابق، ص. 134.

2- صالح زكي، مرجع سابق، ص. 81.

3- الغني مرجع سابق، ص. 89.

4- العابد، مرجع سابق، ص. 52-53.



مناوئة لها للهيمنة على العراق و تهديد تلك المصالح، و لا يمكن تحقيق ذلك إلا من خلال ترسيخ النفوذ البريطاني في العراق.

لقد ظهر دور العامل الاستراتيجي واضحًا في السياسة البريطانية تجاه العراق منذ الحملة الفرنسية على مصر سنة 1798، و ما صاحب ذلك من تهديدات للوجود البريطاني في الهند و الواقع أن هذا التهديد لم يكن غائبًا عن بال المسؤولين البريطانيين حتى قبل أن يغادر الاسطول الفرنسي ميناء طولون، فقد رأى هنري دونداس وزير الحرب و رئيس مجلس السيطرة، أن الهدف المباشر للحملة الفرنسية هو مصر<sup>1</sup>، أما هدفها النهائي فهو تدمير القوة البريطانية في الهند، و كان قائد الحملة الفرنسية آنذاك سيجد عند وصوله إلى شرق البحر المتوسط أربعة طرق أمامه يمكن من خلالها قيادة جيشه ضدّ الهند، يبدأ الأول من إسطنبول مرورًا بسواحل البحر الأسود ثمّ بحر قزوين ثمّ عبر بلاد فارس، أما الثاني فيبدأ من ميناء السويس ثمّ عبر البحر الأحمر، و يبدأ الثالث من مصر فالجزيرة العربية مرورًا بالحجاز و اليمن و إلى ساحل حضرموت ثمّ مسقط و من هناك بحرًا إلى الساحل الهندي، أمّا الطريق الأخير فيبدأ من مصر و يتوجّه شرقًا عبر الصحراء السورية إلى باشوية بغداد ثمّ إلى الخليج العربي فالهند، و بعد دراسة احتمالات استخدام أي من هذه المسارات توصل دونداس أنّ استخدام الفرنسيين للمسار الرابع هو الأكثر احتمالاً.

و بناءً على ذلك، قرّر البريطانيون اتخاذ سلسلة من الإجراءات السياسية و العسكرية لمواجهة الخطر الفرنسي، و بقدر تعلّق الأمر بالعراق قرّرت بريطانيا تأسيس مقيمة لها في بغداد ابتداءً من سنة 1798 بهدف كسب والي بغداد المملوكي سليمان باشا (1780-1802) إلى المعسكر البريطاني، و اتخاذها مركزًا لها لجمع المعلومات و الاتصالات بين لندن و الهند، و قد أصبحت مقيمة بغداد من دعائم النفوذ البريطاني في العراق فيما بعد<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - العابد، مرجع سابق، ص ص. 85-86.

<sup>2</sup> - نفسه، ص ص. 86-87.

إن التأكيد البريطاني على العراق و الأهمية التي أولتها بريطانيا للمنطقة عمومًا في حرية المواصلات مع الهند عبر الأراضي العثمانية، يفسر لنا هذا الاهتمام البريطاني المتزايد بمشاريع المواصلات عبر العراق منذ ثلاثينات القرن التاسع عشر<sup>1</sup>.

فلقد أدرك البريطانيون منذ وقت مبكر أهمية العراق في المواصلات و لاسيما في نقل البريد بين الهند و لندن، و كان طريق العراق أكثر استخدامًا من جانب البريطانيين لنقل البريد السريع على الرغم من المحاولة التي جرت في أواخر القرن الثامن عشر لعمل الترتيبات اللازمة لنقل البريد بين الهند و لندن عن طريق مصر بصفة منتظمة، ثم جاءت المنافسات الدولية مع فرنسا (1798-1810) و مع روسيا منذ العقد الرابع من القرن التاسع عشر لتزيد من اهتمام البريطانيين بتأمين مواصلاتهم مع العراق، و ترتب على ذلك إجراء عمليات مع دراسات عديدة في العراق، فضلا عن نتائجها الملاحية و السياسية، كانت تلك المعلومات و الحسابات الدقيقة عن المنطقة بلا شك ذخيرة لخطوات الاحتلال البريطاني للعراق فيما بعد<sup>2</sup>.

إن أولى عمليات الاستطلاع لنهر الفرات هي تلك التي قام بها الملازم أور ميسي من بحرية الهند خلال السنوات 1826-1830 من تلقاء نفسه، و في سنة 1830 بدأ جيمس تايلور شقيق المقيم البريطاني في بغداد روبرت تايلور بعملية مسح نهر دجلة، بعد حصوله على إذن من والي بغداد المملوكي داوود باشا (1817-1831) لدراسة صلاحيته للملاحة التجارية، إلا أن جيمس تايلور قتل على يد البدو و طوي مشروعه<sup>3</sup>.

أما أول عملية مسح مهمّة لأنهار العراق فقد بدأت على يد الملازم فرانسيس ردن جزني بناء على طلب من السفير البريطاني في إسطنبول روبرت غوردون لإجراء دراسة مقارنة بين الطريقتين المصري و العراقي، و قد أنجز جزني مهمته الأولى في وادي الفرات عامي (1830-1831) و أشار في تقريره إلى المسؤولين البريطانيين إلى أن هناك

<sup>1</sup> - فلادمير ب. لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديثة، تر. عفيفة البستاني، موسكو، ص ص. 124-129.

<sup>2</sup> - عبد العزيز نوار، المصالح البريطانية في انهار العراق، 1600-1914، القاهرة، 1968، ص ص. 37-42.

<sup>3</sup> - زكي، مرجع سابق، ص ص. 152-153.

عقبات عديدة تعترض سبيل الملاحة التجارية في الفرات، و لكن الاعتبارات السياسية و الاستراتيجية و في مقدّمها تنامي النفوذ الروسي و ظهور خطر محمد علي باشا، جعلته يتحمس هو و حكومته لمشروع الملاحة التجارية في الفرات مؤكّداً على أنّ طريق الفرات لا يقلّ أهمية عن طريق مصر<sup>1</sup>، مع شرح مزايا الطريق الأوّل لأنّه أقصر من طريق مصر و يضمن لرعايا بريطانيا خط مواصلات مباشر و سريع بين الهند و بريطانيا، و يمكّن بريطانيا من الطرق المؤدية إلى الهند.

و بناء على ما سبق تشكلت لجنة خاصة في مجلس العموم البريطاني لمعرفة أفضل الطريقين المصري و الفرات، و توصّلت إلى قرار لصالح الملاحة التجارية في العراق، كما حصلت بريطانيا على فرمان من السلطان محمود الثاني نصّ على السماح لباخرتين بريطانيتين بالإبحار في نهر الفرات بالتناوب قصد تسهيل التجارة و أن تستمرّ الملاحة طالما كانت مفيدة للدولتين، و لا يحدث من ورائها متاعب<sup>2</sup>.

قام جزني بعملية مسح نهر الفرات بواسطة الباخرتين "دجلة" و "الفرات" بدءاً من بيره جك عند أعالي الفرات، و قد استغرقت تلك العملية مدة طويلة (1830-1837) عانت خلالها البعثة صعوبات جمة و منها غرق الباخرة "دجلة" و عدد من رجالها و معدّاتها قرب مدينة "عنة"، و بعد إكمال عملية المسح توصل جزني إلى أنّ صعوبات عديدة تعترض استخدام نهر الفرات للملاحة التجارية والتجارة بين بريطانيا و الهند<sup>3</sup>.

و بعد جزني، أكمل أحد أفراد بعثته، و هو هنري بلومي لينج عملية مسح دجلة و شط العرب و بعض أجزاء نهر الفرات بين سنتي 1840 - 1938 ؛ أعقب ذلك عمليات مسح أخرى في العراق قام بها ضبّاط بريطانيون من البحرية الهندية منهم فليكس جونز و سلمي و آخرون، ما عدا عمليات المسح لأنهار العراق فإنّ النصف الثاني من القرن التاسع عشر شهد فتح مشاريع مدّ سكة حديد فراتية بين البحر المتوسط و الخليج العربي كان

<sup>1</sup>- نوار، مرجع سابق، ص ص. 37-42.

<sup>2</sup>- نوار، نفس المرجع السابق، ص. 44.

<sup>3</sup>- زكي، مرجع سابق، ص ص. 156-157.

الهدف منها حماية الخليج العربي و طريق الهند من احتمال تقدّم روسي إلى الخليج العربي، و بالتالي تهديد المصالح البريطانية في الهند<sup>1</sup>. و قد طرح أول مشروع في سنة 1856 من قبل رابطة ترقية وادي الفرات، إلا أنّ المشروع فشل لأنّه كان يتطلّب ضمانات مالية من الحكومتين العثمانية و البريطانية. لم تكن الحكومة العثمانية راغبة و قادرة على منح تلك الضمانات ؛ كما أنّ الحكومة البريطانية لم ترغب في دفع هذا المشروع بوجه المعارضة الفرنسية، لأنّ الأخيرة كانت تعارض و تعرقل مشروع قناة السويس الذي تبنته فرنسا و بعد سنوات قلائل بعث المشروع مرة أخرى في سنة 1862 و كذلك سنة 1871 عندما اقترحت لجنة خاصة في مجلس العموم البريطاني إنشاء سكة حديد فراتية لربط أحد موانئ البحر المتوسط بالخليج العربي<sup>2</sup>. إلا أنّ الحكومة البريطانية لم تدعم المشروع لأنّ طريق قناة السويس كان قد افتتح و يعمل بكفاءة منذ سنة 1869، و مع أن مشاريع أخرى طرحت بعد ذلك إلا أنّ الحكومة البريطانية لم تأبه بها أيضًا، و خاصّة بعد الاحتلال البريطاني لمصر سنة 1882 و تأمين المواصلات البريطانية عبر قناة السويس<sup>3</sup>.

استمرّ العراق يحظى بأهمية سياسية و استراتيجية بالنسبة لبريطانيا و لاسيما القسم الجنوبي منه و الذي يعدّ مدخلاً إلى شمال الخليج العربي، حيث سعت بريطانيا إلى إقامة سياج امني لحماية الهند، و تتأكد هذه الأهمية من التصريحات التي أدلى بها كبار الساسة البريطانيين بهذا الصدد، فقد صرح اللورد كرزون في سنة 1892 بأن بغداد تقع ضمن موانئ الخليج و يجب أن تدخل ضمن السيادة البريطانية التي لا تتنازع. و إلى جانب المواصلات البريطانية في العراق، فإنّ أهميته استمرّت قائمة بالنسبة لنقل البريد

<sup>1</sup> - زكي، مرجع سابق، ص ص. 156-157.

<sup>2</sup> - زكي، نفس المرجع السابق، ص. 157.

<sup>3</sup> - فليب ويلارد آيرلند، العراق، دراسة في تطوره السياسي، تر. جعفر الخياط، دن، بيروت، 1949، ص 24.

السريع بين الهند و لندن، و قد ضاعفت المنافسات الدولية في المنطقة من أهمية العراق في هذا المجال<sup>1</sup>.

و تأكيدًا لذلك فإن المقيم البريطاني في بغداد هارفارد جونز عقد اتفاقية مع واليها المملوكي سليمان باشا بخصوص تنظيم نقل البريد عبر الطريق البري حتى سنة 1841 عندما بدأ بإرسال البريد من البصرة إلى بغداد عن طريق نهر الدجلة على إحدى بواخر شركة الهند الشرقية، و تم في الوقت نفسه تنظيم نقل البريد من بغداد إلى دمشق أسبوعيًا بواسطة الجمال (بريد الهجين) بعد أن توصل هنري ولنسون القنصل البريطاني في بغداد بين 1842-1855 إلى اتفاق بهذا الصدد مع قبائل البادية، و استمرّ هذا الترتيب قائمًا حتى ثمانينات القرن التاسع عشر عندما جرى إلغاؤه من جانب البريطانيين<sup>2</sup>.

من جهة أخرى شهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر انشاء خطوط تلغراف بريطانية عبر العراق، ذلك أن الثورة التي قامت في الهند سنة 1857 ضد الاستعمار البريطاني أوضحت أهمية الحاجة إلى اتصالات تلغرافية سريعة لتحل محل البريد الصحراوي عبر العراق، و قد تقرّر في البداية مد خط تلغراف إلى الشرق عن طريق البحر الأحمر لكن المشروع فشل سنة 1860، و لذا تم اختيار طريق العراق بديلاً له<sup>3</sup>.

ومع نهاية سنة 1864، تمّ انجاز خط تلغرافي يمتد من بغداد إلى ايران عبر مدينة خانقين و منها إلى طهران ثمّ اصفهان و شيراز انتهاءً بميناء بوشهر على الخليج العربي، حيث ربط بخطوط الاتصال التلغرافي مع الهند، و في تلك السنة أيضاً بدأت المواصلات التلغرافية بين الفاو و الهند عن طريق الكابل البحري و الممتدّ تحت البحر إلى ميناء بوشهر في بداية 1865 تمّ انجاز خط تلغراف الذي يربط الهند بأوروبا عبر الخليج العربي و الفاو و القرنة و بغداد و إسطنبول، كما قامت حكومة الهند البريطانية بافتتاح مكاتب بريدية تابعة لها في كلّ من البصرة و بغداد سنة 1868، و كانت هذه المكاتب

<sup>1</sup> - ويلارد آيرلند، مرجع سابق، ص ص34-25.

<sup>2</sup> - آيرلند، نفس المرجع السابق، ص. 23.

<sup>3</sup> - نفسه، ص. 24.

تحت إشراف الممثلين الدبلوماسيين البريطانيين فيها، و من ضمن وسائل النفوذ البريطاني في العراق<sup>1</sup>.

## المصالح الاقتصادية :

تطوّرت المصالح الاقتصادية البريطانية في العراق بدرجة كبيرة في اثناء القرن التاسع عشر، و ما إن حلت السنوات الأولى من القرن العشرين حتّى صار للبريطانيين دور حاسم في توجيه اقتصاديات العراق، حيث وضعوا أيديهم على تجارة العراق الخارجية وشبكة المواصلات في البلاد، و استخدموا العراق سوقا لتزويد الصناعة البريطانية بالمواد الخام<sup>2</sup>. حيث أن نمو المصالح البريطانية في العراق كان واضحا منذ بداية القرن التاسع عشر، لا سيما مع ميناء البصرة و لكن النمو كان بطيئاً إبان العقود الأولى من القرن التاسع عشر، حيث كانت التجارة العراقية محدودة، حيث يقوم العراق بدور محطة تجارية لا أكثر و فضلا على ذلك كانت التجارة العراقية مقصورة على الأقطار المجاورة و لا تكاد تتعداها إلى أوروبا، إلا أن هذه الصورة تغيرت بشكل جذري في النصف الثاني من القرن التاسع عشر حيث شهدت التجارة العراقية توسعا سريعا كان حصيلة جملة عوامل داخلية و خارجية، و قد تمثلت الأولى في التطورات الداخلية التي شهدها العراق منذ ثلاثينات القرن التاسع عشر و منها عودة الحكم العثماني المباشر إلى العراق و قمع الامارات الاقطاعية و إدخال الإصلاحات الإدارية و العسكرية التي دعمت الاتجاه نحو النظام و الامن<sup>3</sup>.

و جهود الوالي مدحت باشا لتسوية مشكلة الأرض في العراق من خلال **تفويضها بالطابور** و انشاء طرق المواصلات الحديثة و لا سيما النهرية منها، و غير ذلك ؛ أما العوامل الخارجية، فمثلت في المتغيرات التي طرأت على السياسة التجارية العثمانية، فقبل

<sup>1</sup> إبراهيم خليل و خليل علي مراد، دراسات في تاريخ إيران و تركيا الحديث و المعاصر، الموصل، 1932، ص. 88.

<sup>2</sup> ل. ن، وتلوف، ثورة العشرين الوطنية التحريرية في العراق، تر. عبد الواحد كرم، دن، بغداد، 1985، ص. 99.

<sup>3</sup> حسن محمد سلمان، التطور الاقتصادي في العراق، التجارة الخارجية والتطور الاقتصادي، دن، ج 1، 1864-

1958، صيدا، 1965، ص. 87.

سنة 1838 كانت الدولة العثمانية تفرض رسوما جمركية عالية اعاقت التجارة الخارجية، و لكن هذه السياسة تغيرت منذ عقد الاتفاقية التجارية العثمانية البريطانية بمعاهدة بلطة ليمان سنة 1838 و التي نصت على الغاء كلّ أنواع الاحتكارات التي كانت تمنع التجار البريطانيين من إقامة علاقات مباشرة مع التجار المحليين في الدولة العثمانية، و فرضت الاتفاقية رسوماً جمركية ثابتة منخفضة على الواردات و الصادرات، و كان مؤدى تطبيقها أن أصبحت المنتجات المحلية تخضع للرسوم لدى تداولها داخل الدولة العثمانية، بينما خضعت السلع المصدرة و المستوردة مرة واحدة لها لدى خروجها أو دخولها إلى الدولة العثمانية. و صارت اتفاقية بلطة ليمان نموذجاً لاتفاقيات مماثلة عقدت مع فرنسا سنة 1838 و الدول الأوروبية و الولايات المتحدة الامريكية بين سنة 1861-1862، و في غضون ذلك كانت قد تغيرت نسبة الرسوم على الصادرات و الواردات، و قد ترتّب على تطبيق اتفاقية 1838 تدفق البضائع الاوربية إلى البلاد العربية و إلى خروج المواد الأولية منها لتغذية مصانع أوروبا<sup>1</sup>.

و من جهة أخرى، فإنّ عهد الإصلاحات العثمانية المعروف باسم التنظيمات خلال الفترة (1839-1876) شهد إصدار فرمانات و اتخاذ إجراءات لتنظيم النشاط التجاري و تشجيع التبادل التجاري الداخلي و الخارجي<sup>2</sup>.

و أخيراً، فإنّ افتتاح قناة السويس سنة 1869 كان مهماً في تطور تجارة العراق الخارجية، فقد ساعد افتتاحها على ربط العراق بالسوق العالمية، و قد أدى ذلك إلى اتساع تجارة التصدير العراقية إلى أوروبا الصناعية بصورة عامة، و إلى بريطانيا بصورة خاصة ؛ و الواقع ان هيمنة بريطانيا على جزء رئيسي من تجارة العراق الخارجية استمرت لحين الاحتلال البريطاني للعراق، و فضلاً عن ذلك، كانت بريطانيا تهيمن على النقل و الشحن

<sup>1</sup>- أمين، مرجع سابق، ص. 28.

<sup>2</sup>- جلال احمد أمين، المشرق العربي و الغرب، بيروت، دن، ط 3، 1981، ص 27.

التجاري البحري من العراق إليه، كما كانت الشركات النقل البريطانية العاملة في العراق دور في تحقيق الهيمنة البريطانية على تجارة العراق الخارجية<sup>1</sup>.

و تعد شركة لنج للملاحة النهرية إحدى أهم الشركات البريطانية التي نشطت في العراق منذ القرن التاسع عشر، و يمكن تتبع تاريخ هذه الشركة منذ العقد الرابع من القرن 19، فبعد انتهاء عملية مسح نهر الفرات من قبل جزني سنة 1837 عهد إلى هنري بلوص لنج مسؤولية قيادة الباخرة النهرية (الفرات)، حيث قام حتى عام 1839 بعمليات مسح في نهر دجلة و اقتنع بما للعراق من مستقبل تجاري باهر<sup>2</sup>.

و في نهاية سنة 1839، أرسلت شركة الهند الشرقية الإنكليزية ثلاث بواخر نهرية مسلحة إلى العراق للعمل في انهاره وعهد إلى هنري لنج بقيادة هذه البواخر الثلاث لأغراض تجارية سياسية و استراتيجية، وبعد مضي سنة أو أكثر قليلاً قام الاخوان هنري وتوماس لنج مع بعض افراد عائلتهما بتأسيس بيت تجاري في بغداد، و كانت بداية أعمال هذا البيت التجاري ناجحة حتى أن القائمين عرضوا على شركة الهند الشرقية ابتياع الباخرة (الفرات) مع باخرة أخرى عندما أرادت الشركة سحب بواخرها من العراق، و نظرًا للأهمية الاستراتيجية لهذا الاقتراح فقد وافقت شركة الهند الشرقية وتمت مراسم البيع والشراء، و أصبحت لبيت لنج باخرتان تجاريتان تعملان لحسابه، و كان عمل بيت لنج ناجحًا تمامًا خلال السنوات التالية، و قد استند بيت لنج في ممارسة نشاطه في ميدان النقل النهري في العراق إلى فرمان الصادر سنة 1834 لتسهيل مهمة بعثة جزني، و إلى رسالة من الصدر الأعظم (رئيس الوزراء العثماني إلى باشا حلب) في 1842 بخصوص تقديم التسهيلات للباخرتين البريطانيتين القائمتين بالملاحة في نهر الفرات<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - كوتلوف، مرجع سابق، ص 26.

<sup>2</sup> - صالح زكي، مرجع سابق، ص 160.

<sup>3</sup> - نفسه، ص 161.



إنّ النجاح الذي حققه بيت لنج و توسيع اعماله شجعها على السعي لإشراك رؤوس أموال جديدة لجني مزيد من الأرباح و تحويل البيت التجاري إلى شركة دولية، و كان نجاح بيت لنج قد أكسبها ثقة أصحاب رؤوس الأموال<sup>1</sup>، و بدعم من الحكومة البريطانية و تدخلها صدر فرمان عثماني سنة 1861 و تأسست الشركة الجديدة باسم (شركة الفرات و دجلة للملاحة البخارية المحدودة بلندن في سنة 1861) ؛ و قد عززت هذه الشركة مركزها في العراق من خلال هيمنتها على النقل التجاري النهري، و مساهمتها في عملية تصدير المنتجات العراقية و لا سيما الحبوب والأصواف و قد فتحت هذه الشركة الباب أمام تغلغل المصالح الاقتصادية البريطانية، و بالتالي النفوذ البريطاني في العراق، و إلى جانب نشاطها هذا فإن الشركة ساهمت في نقل البريد الهندي، و مارست الملاحة منذ سنة 1888 في نهر الكارون الذي يصبّ في شطّ العرب، و قدّمت خدماتها كلها للقوات البريطانية عند احتلالها البصرة 1914.

و إلى جانب شركة لينج، نشطت شركات بريطانية تجارية أخرى في العراق و أسهمت بدورها في تعزيز المصالح التجارية و النفوذ البريطاني فيه، و منها : شركة كري مكنزي التي تأسست في البصرة سنة 1840 و مارست تجارة تصدير الحبوب و التمر و استيراد البضائع من الهند و بريطانيا، و كانت وكالة لشركة الهند الشرقية الإنكليزية في البصرة<sup>2</sup>، و شركة اصفر التي كانت تقوم باستيراد البضائع من الهند إلى البصرة و تقوم بتصدير الحبوب والتمر، و شركة سيمون كريبيان التي تأسست في البصرة سنة 1896 و ارتبطت بالتجارة البريطانية و نشطت في مجال استيراد البضائع و تصدير التمر و الحبوب، و من جهة أخرى نشطت شركات و مؤسسات تجارية و بريطانية كثيرة في مجال توريد السلع و المنتجات المختلفة إلى العراق من خلال وكلاء في العراق و لا سيما التجار اليهود<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> نوار عبد العزيز سليمان، تاريخ العراق الحديث، القاهرة، 1968، ص 273.

<sup>2</sup> صالح زكي، مرجع سابق، ص 170.

<sup>3</sup> نفسه، ص 172.

بالإضافة إلى المصالح الاقتصادية الملموسة، فإنّ البريطانيين أدركوا أيضًا أهمية المستقبلية لإمكانيات العراق الاقتصادية، و من ذلك ما كتبه الضابط ونسيل في المجلة الجغرافية سنة 1897 بخصوص مناطق النفط في العراق، حيث رسم خارطة لما في باطن الأرض من كنوز معدنية، و ما عليها من خطوط المواصلات النهرية، و عدّ نهر دجلة ما بين بغداد و الخليج العربي منفذًا صالحًا لتصريف الإنتاج النفطي المنتظر، و تعرّزت الأهمية المستقبلية المحتملة للنفط العراقي منذ مطلع القرن العشرين بعد حصول أحد الرعايا البريطانيين على امتياز نفطي من شاه فارس سنة 1901<sup>1</sup>.

و بدأ انتاج النفط هناك منذ سنة 1908، و كان الاعتقاد السائد آنذاك أن منابع النفط في بلاد فارس و العراق جزء من تركيب جيولوجي واحد و أن الحزام النفطي لحقول بلاد فارس يمتد إلى تخوم العراق ؛ و في ضوء ذلك، تسابقت المصالح البريطانية مع المصالح الأوروبية الأخرى. و فضلًا عن ذلك، أدّى إلى اكتشاف النفط في بلا فارس إلى زيادة الأهمية الاستراتيجية للعراق من وجهة نظر بريطانيا بسبب مجاورته لحقول النفط في منطقة الاحواز جنوب غرب بلاد فارس، و كذا إمكانيات العراق الزراعية في حال تنفيذ مشاريع الري اللازمة، و قد أصدر في هذا الصدد سنة 1903 بحث بعنوان "إعادة مشاريع الري القديمة على نهر دجلة و إحياء رخاء الدولة الكلدانية"<sup>2</sup>.

### التبشير:

يعد التبشير وسيلة من الوسائل التي اعتمدها دول اجنبية عديدة لتعزيز نفوذها في الدولة العثمانية، و كان العراق ضمن الميادين التي نشطت فيها البعثات التبشيرية البريطانية التي قررت فيها الولوج إلى باب النشاط التبشيري في العراق منذ النصف الأول من القرن التاسع عشر، بهدف نشر المذهب البروتستانتي تمهيدا لكسب الطوائف المسيحية إلى جانبها، كما شهد العراق في القرن التاسع عشر في ميدان التنقيب عن

<sup>1</sup> - صالح زكي، مرجع سابق، ص 180.

<sup>2</sup> - نفسه، ص 180-181.

الآثار من طرف البريطانيين و تهريب نفائس المكتشفات الأثرية من طرف القناصل البريطانيين<sup>1</sup>.

### العلاقات العثمانية الألمانية قبل الوحدة :

لقد كانت العلاقات بين السلطنة العثمانية و الدويلات الألمانية قبل توحيدها متميزة، ففي التجارة كان هناك توقيع بروسيا على معاهدة صداقة وتجارة في عام 1761 مع الدولة العثمانية و تمّ تجديدها في عامي 1790 و 1803 و 1839 و الاتحاد الجمركي خلال عامي 1840 و 1862 اتفاقيات تجارية وملاحية مع السلطنة العثمانية على نسق معاهدات الامتياز، و خاصة معاهدة يالطا عام 1838، و لكن رغم ذلك ظلّ مستوى التجارة الألمانية مع الدولة العثمانية خلف الدول الأوربية الرئيسية، و ذلك بسبب ضعف الصناعة الألمانية و التشرذم السياسي حتى عام 1871، و كذا نظرة الدولة العثمانية إلى بروسيا على انها دولة أوربية من الدرجة الثانية.

أما سياسياً، فتعود العلاقات الألمانية العثمانية إلى فترة حرب السبع سنوات (1756-1763) عندما حاولت بروسيا من دون نجاح جر الدولة العثمانية التي تحالف معها موجه ضد كل من روسيا والنمسا لكن ضعف الدبلوماسية البروسية في الآستانة و عدم رغبة الباب العالي في التورط بالمسألة الأوربية افشلا المشروع<sup>2</sup> ورغم هذا الإخفاق لم تتوان بروسيا، و لأسباب تتعلق بالتوازن الأوربي عن مساعدة الدولة العثمانية لإنقاذها من روسيا خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر.

و تمثل الفترة الممتدة ما بين صلح أدرنه عام 1829 و انتهاء الازمة المصرية في عام 1840 نقطة تحوّل مهمة في السياسة الألمانية تجاه المسألة الشرقية و خلال مفاوضات السلام بين روسيا و السلطة العثمانية عام 1829، توسّطت بروسيا بين الدولتين كما

<sup>1</sup> عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داوود باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا، دار الكتاب العربي، القاهرة، ص 308-317.

<sup>2</sup> عبد الرؤوف سنو، ألمانيا و الإسلام في القرن التاسع عشر و العشرين، ط. 1، دار الفرات للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ص 33.

وصل عام 1835 الضابط البروسي هلموت فون مولتكه إلى الأستانة في زيارة تستغرق 6 اشهر لكن هذه الزيارة تحولت إلى إقامة قضاها في إعادة تنظيم الجيش العثماني مما أفسح المجال أمام بروسيا لزيادة تورطها في المسألة الشرقية، ففي عام 1837 أرسلت الحكومة البروسية ضباطاً آخرين للخدمة في الجيش العثماني.

كما تمثل فترة انتقال الحكم من فريديريك وليم الثالث إلى وليم الرابع أدق مراحل المسألة الشرقية حسماً، و هي تحجيم محمد علي باشا على طاولة المفاوضات في لندن، و من ثم عسكرياً، على الرغم من أن بروسيا أرادت أن تكون مشاركتها في المؤتمر معنوية، إلا أن هذه المشاركة تحوّلت إلى مزيد من التدخل في أمور المشرق العثماني<sup>1</sup>.

و بعد انتهاء المسألة المصرية، أعلنت بروسيا عن مشروع سياسي اقلق الحكومة العثمانية و الدوائر الدبلوماسية الغربية و هو تدويل الأماكن المقدسة في فلسطين و وضعها تحت إشراف الدول الأوروبية الكبرى، و ما لبثت بروسيا أن عقدت مع بريطانيا اتفاقية "مطرانية القدس الانجيلية" التي فاقت مدلولاتها لسياسة مسألة استيطان بضعة مبشرين المان في ممتلكات الدولة العثمانية، و كانت بروسيا تسعى إلى توطين اليهود في فلسطين و الحصول بالتالي على نفوذ لدى الباب العالي، و في حرب القرم (1853-1856) فضلت بروسيا عدم التورط في المسألة، كما وقفت بروسيا خلال مؤتمر لندن 1870 موقفا داعما للدبلوماسية الروسية في مساعيها للتوصل من بنود معاهدة باريس لعام 1856 المتعلقة بحياد البحر الأسود، كما ساهمت في وضع حد للاضطرابات التي اندلعت في جزيرة كريت، من خلال دعوة بسمارك لبحث المسألة الكريتية<sup>2</sup>.

## الوحدة الألمانية:

كانت ألمانيا مقسّمة إلى أكثر من 300 مقاطعة بين كبيرة و صغيرة و ليس هنالك بينهما أية رابطة سوى التبعية لحكم امبراطور الدولة الرومانية، و كانت لكل مقاطعة

<sup>1</sup> - سنو، مرجع سابق، ص. 34.

<sup>2</sup> - نفسه، ص. 35.

حكما الخاص، لكن فيما بعد زالت بعض المقاطعات بسبب الثورة الفرنسية و حروب نابليون، و برزت بعض المقاطعات مثل ، روتمبرغ و سكسونيا و تحوّلت إلى ممالك على حساب النمسا و بروسيا و اتحاد الراين، لذا يمكن القول أنّ نابليون هو الذي بدأ بتوحيد ألمانيا خدمة لأغراضه التوسعية و كذا لإسعاد النمسا، ثمّ جاء مؤتمر فيينا ليعرض المشكلة الألمانية و إنشاء اتحاد جرمانى تشترك فيه جميع المقاطعات الألمانية، بزعامة الإمبراطورية النمساوية و أعيد رسم خريطة أوروبا و أصبحت الامارات و الدويلات 39 فقط، ممّا عجلّ بقيام الوحدات الاقتصادية و الجمركية و أبرزها الزولفرن ؛ و قد عمل بسمارك آنذاك على بناء قوة ضاربة لتوحيد ألمانيا، فعمل على تحييد روسيا و وقف معها في ثورة البولنديين، و تدخّل في المسألة الدنماركية. و قد تحقّق قيام الدولة الألمانية الموحّدة عام 1871 بعد هزيمة فرنسا في حروبها أمام بروسيا و الدويلات الألمانية<sup>1</sup>.

### الأزمات قبل مؤتمر برلين :

تطوّرت المسألة الشرقية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، بسبب الضعف السياسي و العسكري للدولة العثمانية من جهة و التنافس الشديد بين القوى الأوروبية في الحصول على الامتيازات الأجنبية في ولايات الدولة العثمانية، فكثرت الثورات في البلقان بسبب تحريض روسيا الرعايا المسيحيين للثورة على السلطان العثماني عبد الحميد حيث نصبت نفسها حامية للنصارى و الارثوذكس في البلقان، فكانت الأزمة البلقانية و الحروب الروسية العثمانية و معاهدة سان ستيفانو مقدّمات لدعوة بسمارك إلى عقد مؤتمر برلين<sup>2</sup>.

---

<sup>1</sup> عبد العزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين، التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، دار الفكر العربي، 1999، ص ص. 369-370.

<sup>2</sup> عمر عبد العزيز عمر، تاريخ أوروبا الحديث و المعاصر 1815-1919، دار المعرفة الجامعية، د. ت، ص. 208.

## الازمة البلقانية عام 1875 :

ثارت الأزمة البلقانية عام 1875 بتحريض روسيا أرثوذكس البوسنة و الهرسك للثورة ضدّ الحكم العثماني، لكن ألمانيا كانت تفضل سياسة التعاون مع الدول الكبرى لحلّ هذه الأزمة بالطرق السلمية، لأنّ قيام حرب بين روسيا و الدولة العثمانية تشترك فيها الدول الأوروبية قد يجر ألمانيا إلى الاشتراك فيها، و لهذا أيدت ألمانيا فكرة روسيا في أن تدخل عصابة الاباطرة ( ألمانيا، النمسا، و روسيا) لدى الدولة العثمانية لإتباع سياسة تهدف إلى القضاء على أسباب الثورة<sup>1</sup>، و لكن هذا الموقف لم يرض إنجلترا و فرنسا، لأنّه يحول بينهما و بين التدخل في تصفية المسألة الشرقية و هو تصفية الوجود العثماني في البلقان، كما أن اقتراح بسمارك قد يحول دون حرية روسيا في العمل على تحقيق أطماعها في الدولة العثمانية، و اضطرّ الباب العالي أمام تدخل الدول الكبرى إلى إصدار فرمان في 12 ديسمبر 1875 يتضمّن بعض الإصلاحات لتحسين أحوال رعايا الولايات البلقانية ؛ لكن الثورة لم تخمد بمجرد صدور هذا فرمان، حيث استمرت الثورة في البوسنة و الهرسك بمساعدة صربيا و الجبل الأسود، لهذا اجتمع بسمارك بوزير خارجية النمسا و كذا المجر في برلين في شهر 1876 دون إنجلترا و حملوا إلى الدولة العثمانية مذكرة برلين بعد موافقة إيطاليا وفرنسا عليها، و قد طالبت هذه المذكرة من الحكومة العثمانية إيقاف العمليات العسكرية لمدة شهرين والدخول مع مفاوضات مباشرة مع قادة في البوسنة و الهرسك، ثمّ أتت الحرب الروسية العثمانية في عام 1877 حيث أنّ السلطان العثماني عبد الحميد الثاني الذي أخمد الثورة في بلغاريا أثار سخط الدول الأوروبية عليه، فأعلنت روسيا في نوفمبر 1876 أنّها ستدخل لوضع حدّ لتصرّف رجال السلطان ضدّ سكّان البلقان النصاري<sup>2</sup> ؛ هذا الإعلان جعل بريطانيا تدعو إلى عقد مؤتمر

<sup>1</sup> - مرغلي علي تسن، تاريخ أوروبا الحديث و المعاصر، ط. 1، دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر، الاسكندرية، 2001، ص145.

<sup>2</sup> - محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ط. 2، دار النفاش، بيروت، 2008، ص 464.

أوروبي في إسطنبول حفاظاً على سلامة الدولة العثمانية و الضغط على السلطان من أجل الإسراع في إدخال إصلاحات في البلقان.

كانت بريطانيا ترغب من وراء الدعوة لعقد المؤتمر منع روسيا من الذهاب إلى الحرب خوفاً من انحلال الدولة العثمانية، فعقد المؤتمر في 23 ديسمبر بحضور روسيا، النمسا، و إيطاليا ؛ و في اثناء انعقاد المؤتمر، أصدر السلطان عبد الحميد الثاني دستور 1877 منح بموجبه رعاياه الحرية والمساواة بدون تمييز بين المسلمين والنصارى، كما أنه أقر إقامة مجلس تمثيلي في ولاية البلقان، و رفضت بريطانيا توجيه تهديد أوروبي مشترك ضد الدولة العثمانية وبسبب عدم الاستقرار السياسي في الدولة العثمانية، وتعليق العمل بالدستور اجتمعت الدول الأوروبية ثانية في لندن، و أصدرت في 31 مارس بروتوكول لندن، تضمن مطالب أوروبية إلى السلطان العثماني تتعلق بمعاملة رعاياه النصارى<sup>1</sup>، لكن السلطان رفض الاعتراف ببروتوكول لندن، كما أنه رفض الاقتراحات التي وضعها السفراء الأوروبيون من قبل في مؤتمر إسطنبول، مما جعل روسيا القيصرية تنفرد بإعلان الحرب على الدولة العثمانية في 24 أبريل 1877 و الالتفاف مع النمسا-المجر من خلال معاهدة سرية بين الطرفين في 15 يناير 1877 بعد فشل مؤتمر إسطنبول<sup>2</sup>، و نصّت المعاهدة على ما يلي :

- تقف النمسا على الحياد على أن تهبّ لمساعدة روسيا إذا اقتضت الظروف ذلك كما و أنها سوف تبذل مساعيها لإبعاد اشتراك دولة ثالثة في الحرب.

- تعهّد روسيا بعدم احتلال صربيا.

- تتغاضى روسيا عن احتلال النمسا للبويسنة و الهرسك.

في نهاية الحرب، بدأت الجيوش الروسية بالتقدّم في الأراضي العثمانية، و انضمت رومانيا و صربيا و الجبل الاسود إلى جانب روسيا و لم تمنع بريطانيا روسيا من التوغل

---

<sup>1</sup>- بكر محمد إبراهيم، الدولة العثمانية، موسوعة التاريخ الاسلامي، ط. 1، مركز الياية للنشر والاعلام، القاهرة، 2006، ص. 275.

<sup>2</sup>- نفسه.

في الأراضي العثمانية بسبب تأكيدات القيصر إسكندر الثاني لبريطانيا بأن الجيش الروسي لن يحتلّ إسطنبول، لقد جاءت تأكيدات القيصر بعد ارسال مذكرة إلى الحكومة الروسية في 6 مايو، جاء فيها أن الحكومة البريطانية لا يسعها أن تقف مكتوفة اليدين إذا وقعت إسطنبول في يد غير الدولة العثمانية<sup>1</sup>؛ و في نهاية عام 1877، كانت القوات الروسية تتقدّم نحو إسطنبول خلافاً لتأكيدات القيصر، ممّا جعل الحكومة البريطانية تسارع للتدخل لمنع روسيا من السيطرة على المضائق، وقام رئيس الحكومة البريطانية دزرائيلي ( ) بالتوجه نحو بحر مرمرة وارسل وزير الخارجية اللورد سالزبوري ( ) مذكرة إلى الحكومة الروسية يعلمها فيها بان بريطانيا لن تسمح باحتلال المضائق من قبل اية دولة وطلب رئيس وزراء النمسا في 1878 من روسيا بأن لا تضع اروبا تحت امر الواقع، أي لا تفرض شروط الصلح ضد الدولة العثمانية قبل استشارة الدول الأوروبية الكبرى تحسبا للتهديد البريطاني و أمر القيصر الروسي قادة جيوشه بعدم دخول إسطنبول وتوقف الزحف الروسي في مدينة ستيفانو قرب العاصمة العثمانية و طلب من سفيره في إسطنبول بإجراء مفاوضات مع السلطان العثماني<sup>2</sup>.

### معاهدة سان ستيفانو:

في 3 مارس 1878، وقّعت معاهدة سان ستيفانو بين روسيا و الدولة العثمانية، و كانت بنود هذه المعاهدة تحتوي على شروط أملاها الطرف المنتصر على الطرف المنهزم، و هذا ما أدّى إلى ظهور تحرك دولي سريع، و السبب في هذا التحرك الدولي ضدّ معاهدة سان ستيفانو يرجع إلى ما أدّت اليه تلك المعاهدة من ظهور دولة بلغاريا الكبرى على حساب

<sup>1</sup> - محمد قربان نيازملا، السلطان عبد الحميد و أثره في نشر الدعوة الاسلامية، ط. 1، دار البشائر السلامية للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، 1988، ص ص. 152-153.

<sup>2</sup> - طقوش، مرجع سابق، ص. 427.



الدولة العثمانية، كذلك على حساب الآمال اليونانية<sup>1</sup>، و فوق كل هذا، رأت بريطانيا بالذات أن بلغاريا مجرد ذراع عسكري لروسيا امتد إلى قلب الدولة العثمانية، يستطيع أن يسيطر على إسطنبول و بالتالي أصبحت الدولة العثمانية تحت رحمة روسيا و حلفائها في البلقان ؛ و ممّا زاد مخاوف بريطانيا من معاهدة سان ستيفانو استيلاء روسيا في الجبهة الغربية على مناطق عثمانية حدودية و على معظم أرمينيا الأمر الذي جعل وصول الجيش الروسي من شمال العراق و الخليج العربي إلى الهند أمراً ممكناً، و جعلت الدعاية البريطانية من التهديدات الروسية قضية تمسّ النفوذ البريطاني<sup>2</sup>.

### مؤتمر برلين 1878 :

وجد بسمارك في المناخ الدولي بعد الحرب الروسية العثمانية وشروط الصلح المثبتة في معاهدة سان ستيفانو و تحذيرات بريطانيا من التفوق الروسي في القوقاز و البلقان الفرصة الكبيرة كي يقوم بدور المنقذ للسلام العالمي بدعوة إلى عقد مؤتمر دولي جديد تحلّ فيه الدول الأوروبية الكبرى مشاكلها على حساب الدولة العثمانية بالطرق السلمية، و لقد أفرز هذا المؤتمر الذي احتوى على أربعة و ستين بنداً نتائج خطيرة على الدولة العثمانية أضرتّها أكثر ممّا أضرتّ بها معاهدة سان ستيفانو، و من أهمّ النتائج المترتبة نذكر :

- ضمّ بسارابيا إلى روسيا القيصرية و انفصالها عن مناطق رومانيا التي ستمنح استقلالاً تاماً، و على الدولة ان تسدد ما عليها من غرامة حربية لدولة روسيا القيصرية.
- تعهّد الباب العالي بحماية الأرمن و النصارى من الأكراد و الشركس و كذا إصلاحه لأوضاع النصارى في جزيرة كريت<sup>3</sup>.
- تقع البوسنة و الهرسك تحت الاحتلال النمساوي على أن تظلّ الإدارة العثمانية في سنجق نوفي بازار.

<sup>1</sup> - محمد بركات، الحرب العالمية الأولى (قصة الأطماع و مأساة الفراغ)، ط. 1، دار الكتاب العرب، دمشق، 2007، ص. 369.

<sup>2</sup> - طقوش، مرجع سابق، ص. 427.

- تنازل الباب العالي لروسيا في آسيا عن أراضي اردهان و قارص و باطوم.  
- إبقاء المضائق "البوسفور و الدردنيل" مفتوحة للسفن الروسية في الحرب و السلم.  
- إعلان الباب العالي رغبته في منح حرية المعتقد الديني<sup>1</sup>.  
- انصراف بلغاريا إلى تنظيم شؤونها الداخلية مستفيدة من عطف روسيا عليها، حيث استطاعت أن تضم إليها منطقة الروملي الشرقية كما أنصب تفكيرها على معاهدة سان ستيفانو، فشجعت مقدونيا للثورة على الباب العالي، و لكن السلطان كعادته استطاع إخمادها<sup>2</sup>.

- تعرّضت الدولة العثمانية في السنوات التالية للعديد من الاستقطاعات مثل التنازل لليونان عن "ثيساليا\*" و جزء من "بيروس\*\*"، حيث أن الدول الكبرى استقادت من ضعف الإمبراطورية لكي تزيد من نفوذها<sup>3</sup>.

- وجد السكان أنفسهم في الدولة الجديدة التي تشكلت بالبلقان في وضع صعب و أدت المعاملات السيئة و الخوف من الأعمال الانتقامية و القوانين الزراعية التي منحت لمصلحة العناصر المسيحية، بالإضافة إلى نزوح الآلاف من المسلمين باتجاه إسطنبول<sup>4</sup>.  
- كشفت المعاهدة على عبقرية السلطان عبد الحميد الثاني التي تمثلت في إحداث نفور بين دولة روسيا و دولة ألمانيا<sup>5</sup>.

و خلاصة القول أنّ مؤتمر برلين أخذ من يدي الباب العالي جميع الامارات التي كانت له عليها حق السيادة، و أخذت منه ما يقرب من نصف أملاك أوروبا بمعنى أن الدولة العثمانية خسرت في هذا المؤتمر ما لم تخسره في أي حرب سبقت، كما أكسبته في نفس

---

<sup>1</sup> - عمر عبد العزيز عمر و حجر جمال محمود، صور من تاريخ العلاقات الدولية في العصر الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2008، ص. 88.

<sup>2</sup> - روبيرت مانتران، تاريخ الدولة العثمانية، تر. بشير الساعي، ج. 2، دار الفكر للدراسات، القاهرة، 1992، ص. 162.

<sup>3</sup> - جمال عبد الهادي وآخرون، في تاريخ الدولة العثمانية، ج. 2، ط. 1، دار الوفاء، المنصورة، 1990، ص. 27.

<sup>4</sup> - مانتران، مرجع سابق، ص. 162.

<sup>5</sup> - عيسى الحسن، الدولة العثمانية، الأهلية للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ص. 310.

الوقت حليف قوي يملك من القوة الصناعية و العسكرية الكثير، ألا و هي ألمانيا التي أوجدت سياسة للتقارب مع السلطان العثماني، و هذا ما سنتعرف عليه لاحقاً.

## التقارب العثماني الألماني :

بعدما تحققت وحدة ألمانيا في سنة 1871 مضت في دعم قوتها الاقتصادية و النهوض بصناعاتها و الترويج لتجاريتها، و لكون الدول الكبرى سبقتها في اقتسام مناطق الاستعمار فلم يبق سوى الأناضول و ما عليه من الجنوب من بلاد الشام و العراق، و فضلت أن يتم ذلك سلمياً، فتقاربت مع السلطان العثماني بسبب استياء هذا الأخير من بقية الدول الاستعمارية الطامعة في بلاده و الإعجاب الكبير الذي يكنّه بقوة ألمانيا العسكرية و العلمية و الصناعية ؛ ضف إلى ذلك، حاجة الدولة العثمانية الماسة إلى دعم ألمانيا في وجه الطامعين و إلى قوة أوروبية تقف إلى جواره بسبب تلك العزلة الكبرى التي حدثت له بسبب مذابح الأرمن، و كان السلطان عبد الحميد في حاجة إلى دولة كبرى يستعين بها في تنفيذ الكثير من مشروعاته الحيوية الكبرى دون أن تتحول هذه المشروعات إلى مخططات استعمارية على الطريقة الإنجليزية و الفرنسية، ثم إيجاد نوع من التنافس الدولي يبعد الأطماع الغربية عن بلاده<sup>1</sup>، و كان يعتقد أن القيصر الألماني ولهم الثاني بأنه ليس استعمارياً مثل الانجليز أو الفرنسيين<sup>2</sup>.

كانت ألمانيا قد حققت قفزات كبيرة في علاقاتها التجارية، و الاقتصادية و الثقافية مع الدولة العثمانية و تسليحها، و انعكس تغلغلها هذا من جهة، و عدم اعتمادها سياسة استعمارية مباشرة تجاه ممتلكات السلطان العثماني من جهة أخرى، و قد عدّ هذا تصاعداً في نفوذها السياسي في الآستانة بحيث فاق مثيله الأوروبي، فقد كانت عين الامبراطور الألماني على الدولة العثمانية، وكانت التقارير تأتيه متتالية عن الخيرات الدفينة في

<sup>1</sup> - محمد بديع شريف، دراسات في تاريخ النهضة العربية، د.ن، القاهرة، ص. 37.

<sup>2</sup> - عبد الرؤوف سنو، رحلة إمبراطور ألمانيا وليم الثاني إلى الشرق في مرآة الصحف العربية المعاصرة، بيروت، د.ت، ص. 11.

باطنها، و كان القيصر معجبا بذلك و أشرف على تنفيذها، و كان أول مظهر قوي هو قيامه بزيارة السلطان عبد الحميد الثاني، كما قام في 1898 برحلة إلى الشرق وعبر بقوة عن صداقة ألمانيا للمسلمين في القدس، واعتقد السلطان عبد الحميد ان ألمانيا بقيادة القيصر ولهم الثاني (1888-1918م) لا تبغي السيطرة و الاحتلال بهدف الاستعمار مثل بريطانيا و فرنسا<sup>1</sup>.

و كانت ألمانيا في ذلك الوقت قد نمت و عظمت بعد تحقيق وحدتها و راحت تبحث عن مجالها الحيوي فوجدته في الدولة العثمانية، و اعتقد القيصر بضرورة تقوية العلاقات معها لحل مشكلات ألمانيا الاقتصادية و لا سيما أن القوة الإنتاجية الصناعية في ألمانيا كانت في تزايد مستمر و تجارة ألمانيا في توسع<sup>2</sup>.

و يتجلى ثقل ألمانيا في الإمبراطورية العثمانية في عصر عبد الحميد الثاني على عدد معين من المستويات ؛ ففي آسيا الصغرى<sup>3</sup>، قامت المجموعات المالية الإنجليزية، الألمانية و الفرنسية بمحاولات منذ سنة 1890 للحصول على عقود امتياز للسكك الحديدية ؛ كسبت المصالح الألمانية الجولة، فالبنك الألماني حصل نتيجة لتأكيد حكومة برلين من الحكومة العثمانية في سنة 1903 على عقد امتياز لشبكة سكك حديد و الخطة كانت ستغطي الجزء الأكبر من الأناضول و ما بين النهرين، و لها خط رئيسي يصل البوسفور ببغداد ثم الخليج العربي، و فتح هذا العقد لنشاط الألمان إمكانيات واسعة من وجهة النظر الاقتصادية و كذلك من وجهة النظر السياسية<sup>4</sup>، إلا أنه لا يجب المبالغة في تقدير ثقل هذه المصالح في الإمبراطورية العثمانية، فعلى المستوى التجاري تظل خلف فرنسا بمسافة بعيدة و في المجال الثقافي أيضًا، إلا أنه حتى و لو كان التغلغل الألماني

<sup>1</sup> - سنو، مرجع سابق، ص. 12.

<sup>2</sup> - محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض و أسباب السقوط، ط. 1، دار التوزيع والنشر الاسلامية، بور سعيد، ص. 414.

<sup>3</sup> - آسيا الصغرى : شبه جزيرة بأقصى غرب آسيا تسمى بالأناضول، يحدها البحر الأسود شمالاً، و البحر المتوسط جنوباً، و بحر ايجه غرباً، و يصل البحر الأسود مع بحر ايجه بحر مرمرة، عبر مضيق البوسفور و الدردنيل.

<sup>4</sup> - روبرت مانتران، تاريخ الدولة العثمانية، تر. بشير الساعي، ج. 2، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ص. 223.

في الأراضي العثمانية غير حاسم فإنه كان جد سريع، و قد قلب التوازنات في الشرق الأدنى وذلك بوجه خاص في قطاع الجيش والسكك الحديدية، و قد كان الوجود الألماني في الإمبراطورية العثمانية في أواخر القرن التاسع عشر كبيرا، فقد كان ضباط بروسيون كمدرسين في الجيش العثماني و من بينهم فون مولتكه، كما حدّد الاقتصاديون الألمان منطقة آسيا الصغرى بوصفها مجال حيوي و نشاط مثالي للمستثمرين الألمان<sup>1</sup>.

و لقد نجحت ألمانيا في تأسيس قوة عسكرية تفوّقت على كلّ الجيوش العسكرية من حيث النظام و التدريب و التسليح، فأصبحت أكبر قوة عسكرية في العالم.

و في ظل هذه التطورات، أصبح من الضروري الالتفاف إلى الخارج لتسويق المنتجات الألمانية، و الحصول على المواد الخام التي تشكل عصب الصناعة، فلم تكن ألمانيا ترغب في فتح أسواق لها في مناطق بعيدة، و لا تصلح للاستيطان الأوربي، فكان أن التقت نحو ولايات الدولة العثمانية، فهي أسواق مناسبة لتسويق المنتجات الألمانية بالمواد الخام التي تحتاجها المصانع<sup>2</sup>.

و منذ السنوات الأولى لعهد، فإن عبد الحميد في بحثه عن بديل للسياسة التقليدية المتمثلة في الاعتماد على إنجلترا، قد فكر في ألمانيا التي لا تستجيب على الفور حيث تم إرسال بعثة من الضباط الألمان إلى الدولة العثمانية عام 1882، و اتفاق مجموعة ألمانية في عام 1889م على إنشاء سكك حديدية حتى أنقره و قونية، و توقيع معاهدة تجارية ألمانية-تركية عام 1890<sup>3</sup>.

تمثل نقطة تحول في العلاقات الألمانية التركية و بشكل أهم في علاقات الإمبراطورية العثمانية مع الدول الأوربية، فبعد مشاريع تدخلها الفاشلة في المسألة الأرمينية 1895-1896 تتحول إنجلترا عن الإمبراطورية العثمانية بسبب مصر والسودان وفي إفريقيا

<sup>1</sup> -مانتران، نفس المرجع السابق، ص ص. 222-223.

<sup>2</sup> -جلال يحيى، التاريخ الأوربي الحديث و المعاصر حتى الحرب العالمية الأولى، ج. 2، دار الفكر للدراسات و النشر و التوزيع، القاهرة، د.ت، ص. 223.

<sup>3</sup> -مانتران، مرجع سابق، ص. 222.

الجنوبية ؛ أما روسيا فأهملت المسائل البلقانية إلى حين، ريثما توطد وجودها في الشرق الأقصى<sup>1</sup>، الذي يقربها منه انشاء خط سكة حديد سيبيريا، و قد كانت الفرص مواتية لألمانيا لكي توسع مصالحها السياسية و الاقتصادية في الدولة العثمانية، و كان عبد الحميد يدرك مطامع ألمانيا في دولته و لكن يعلم بأنه بحاجة إلى حليف أوربي، و قد وجد ذلك الحليف أكثر من بريطانيا و روسيا<sup>2</sup>، فرحب السلطان عبد الحميد الثاني بسياسة التقارب مع ألمانيا، و كانت تحذوه رغبة قوية في الحد من نفوذ الدول الأوربية الثلاث، و لعل أول مظهر من مظاهر التقارب - كما سبق الذكر<sup>3</sup> - كان قيام امبراطور ألمانيا غليوم الثاني بزيارة رسمية إلى الإمبراطورية العثمانية، و أكد تقاربه مع المسلمين، بحيث قام بزيارة إلى الآستانة و دمشق بغية التودد من السلطان و تفقد أملاك الدولة<sup>4</sup>.

و علاوة على هذه الجوانب السياسية و الدينية، فإن زيارة الامبراطور قد سبقها مجيء وفد كبير من رجال الأعمال الألمان إلى إسطنبول برئاسة مدير البنك الألماني، الذي حصل من الباب العالي على تعاقدات مريحة، و قد تمت الموافقة على قيام الألمان بإنشاء سكة حديد بغداد من حيث المبدأ<sup>5</sup>، فاستهدف الألمان من مشروع سكة حديد برلين بغداد النشاط الاقتصادي بالدرجة الأولى، و هو نقل البضائع الألمانية إلى بغداد و البصرة و بذلك يمكنهم الوصول إلى الخليج العربي لمنافسة بريطانيا. و مهما يكن، تجدر الإشارة أنّ هذه المشاريع كانت أداة للتدخل الأجنبي للمساس بسيادة الدولة من خلال مجلس إدارة الدين العام العثماني الذي يمثل الدائنين الأجانب<sup>6</sup>.

---

1- الشرق الأقصى: تعبير سياسي جغرافي يشمل الدول الآسيوية التالية، الصين، اليابان، كوريا، الفيتنام، كمبوديا، تايلندا والهند.... و تأتي هذه التسمية التي اطلقتها الدول الغربية في إطار تقسيم مناطق النفوذ، انظر: فراس البيطار الموسوعة السياسية والعسكرية، ج 1، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2003، ص. 37.

2- مانتران، مرجع سابق، ص. 221.

3- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص. 464.

4- طقوش، مرجع سابق، ص. 479.

5- سنو، مرجع سابق، ص. 11.

6- محمد حسن العيدروس، تاريخ الخليج العربي الحديث و المعاصر، ط. 2، عين للدراسات و البحوث الاسلامية و الاجتماعية، الكويت، 1998، ص. 217.

و كان التعاون العسكري بين الجانبين أول ثمرات التقارب، حيث أرسل السلطان العسكريين إلى ألمانيا ليستكملوا دراساتهم في معاهدهم العسكرية، و أوفد الضباط لحضور المناورات العسكرية كما قام باستيراد الأسلحة و الذخائر من ألمانيا ؛ و في وقت لاحق، لعب الضباط الألمان دور المدربين العسكريين للعثمانيين، و فتحت ألمانيا سوق الأسلحة للدولة العثمانية في حين وجد الفرنسيون و الانجليز أنفسهم مبعدين عنها، فأنتهت ألمانيا إلى التمتع بمركز احتكاري من 1899م<sup>1</sup>.

و بعد ذلك تقديم الخبرة الفنية لمشروع سكة حديد الحجاز، و لم يقتصر صدى سياسة ألمانيا على الدوائر الرسمية العثمانية فحسب، بل وجد الإمبراطور حماسة لافتة خلال زيارته إلى بلاد الشام<sup>2</sup>، و من هنا لم يكن أمام ألمانيا سوى "الزحف السلمي نحو الشرق" أي التغلغل الاقتصادي و التجاري، ممّا فرض عليها سياسة الحفاظ على الدولة العثمانية و الوقوف في وجه مشاريع تقسيمها، فكانت سياستها هذه أكثر فائدة لها من الاستعمار المباشر<sup>3</sup>، فرفضت على التوالي عامي 1895 م و 1912 مشروعين بريطاني و آخر دولي لتقسيم الدولة العثمانية، و قد انطلقت ألمانيا في سياستها من اعتبارات اقتصادية<sup>4</sup>، حيث رأت لجنة خاصة شكّلتها أن قدرات آسيا الصغرى الاستيعابية للرأسمال و الصناعة و التجارة الألمانية لا تزال مفتوحة من خلال مشاريع السكك الحديدية، و استغلال ثروات الأرض الباطنية و كذا الزراعة، و أن الحل الأفضل لاستمرار سياسة التغلغل السلمي الألماني لا يكون بحلّ المسألة الشرقية، و إنّما في الحفاظ على الوضع الراهن.

و هكذا بدأت العلاقات العثمانية الألمانية بعد استكمال وحدتها على يد بسمارك و مؤتمر برلين 1878 م، و اتجهت الدولة العثمانية للاعتماد على ألمانيا في جلب الخبراء لإنجاز الإصلاحات، و بذلك بدا النفوذ الألماني يتسرب إلى الدولة العثمانية خاصة بعد تولي "غليوم الثاني" الحكم، والذي حصل على عدّة امتيازات اقتصادية و سياسية أبرزها مشروع

<sup>1</sup> - طقوش، مرجع سابق، ص ص. 464-465.

<sup>2</sup> - مانتران، مرجع سابق، ص. 224.

<sup>3</sup> - سنو، مرجع سابق، ص. 12.

<sup>4</sup> - نفسه، ص. 81.

انجاز سكة حديد برلين بغداد 1898 م، و هو ما أدى إلى اقتسام أملاك الدولة العثمانية، خاصة بريطانيا التي تخوفت على مصالحها التجارية في الهند و المشرق<sup>1</sup>.

### موقف الدول الأوروبية من هذا التقارب :

لقد أثار هذا التقارب الذي وقع بين الدولة العثمانية و ألمانيا في نهاية القرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين ردود أفعال من قبل الدول الأوروبية الكبرى خاصة بريطانيا و روسيا و فرنسا، فقد اتفقت مواقفها في البداية حول التقارب الحاصل بين ألمانيا والدولة العثمانية، لكن سرعان ما تغير موقفها إلى الرفض القاطع لهذا التقارب بعدما تقطنت هذه الدول إلى سياسة الامبراطور "غليوم الثاني" المتمثلة في سياسة الزحف شرقاً، و اتخذ هذا التقارب كطعم يربط ألمانيا بالعرب، و من هنا بدأت ترى هذه الدول أن ألمانيا تقترب من مواصلاتها و تهدد مصالحها في المنطقة<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - سنو، مرجع سابق، ص ص. 81-82.

<sup>2</sup> - نوار عبد العزيز، تاريخ العرب المعاصر، مصر و العراق، دار النهضة العربية، بيروت، 1973، ص. 442.



## العلاقات الألمانية الإنجليزية:

تميّزت العلاقات الألمانية الإنجليزية نوعاً ما بالإيجابية سنة 1890 نتيجة قيام الدولتين بعقد اتفاقية تخلت بموجبها ألمانيا عن زنجبار في إفريقيا، الأمر الذي جعل الإنجليز يقومون بالتنازل للألمان عن جزيرة هلغولاند بالمقابل، كلّ هذه التنازلات أدت إلى حصول تقارب ألماني-إنجليزي<sup>1</sup>. في عام 1893، جاء إلى رئاسة الوزراء البريطانية غلادستون، و قام بانتهاج سياسة جلية ضدّ الحلف الثلاثي في ألمانيا و النمسا المجر و إيطاليا، ممّا جعل العلاقات بين الطرفين تتدهور، يضاف إلى ذلك قيامه بالتقرب من فرنسا العدو الأول لألمانيا<sup>2</sup>.

و في عام 1897، استولى الألمان على ميناء كياوشاو الصيني، الأمر الذي جعلهم منافسين للإنجليز في تلك المنطقة<sup>3</sup>؛ و في عام 1900، عقدت بين بريطانيا و ألمانيا اتفاقية جعلتها محايدة في الشرق الأقصى للإبقاء على الوضع الراهن في الصين و على سياسة الباب المفتوح في أمور التجارة، و على الرغم من عدم وضوح بنود الاتفاقية إلاّ أنّ بريطانيا فكّرت في أن و أن تحافظ على علاقات ودية بألمانيا لتساعدّها ضدّ العدوان الروسي في شمال الصين؛ لكن التوتر رجع بين الطرفين خلال الأعوام 1909-1914 نتيجة حروب البلقان الهادفة إلى التحرر من الدولة العثمانية، التي دعمتها السياسة البريطانية نتيجة ضغط الشعب الإنجليزي على حكومته<sup>4</sup>.

عبد الرزاق إبراهيم، المسلمون و الاستعمار الأوربي لإفريقيا، الكويت، المجلس الوطني لثقافة والفنون، 1989، ص. 28.

محمد محمد صالح، تاريخ أوروبا الحديث في القرن 19، بغداد، مطبعة جامعة بغداد، 1962، ص. 154.

محمد كامل الدسوقي، تاريخ أوروبا الحديث 1800-1918، القاهرة، مطبعة النهضة الجديدة، د.ت، ص. 195.

جرانت هارلود، أوروبا في القرن 19 و 20، ترجمة بهاء فهمي، ج.1، القاهرة، 1978، ص. 70.

## التمثيل الدبلوماسي في العراق :

لقد بدأ التمثيل الدبلوماسي البريطاني في الدولة العثمانية منذ مطلع ثمانينات القرن السادس عشر، و قد تولّت شركة الشرق الأدنى تعيين السفراء البريطانيين في إسطنبول و القناصل في مدن عثمانية أخرى حتى سنة 1825 عندما بدأت الحكومة البريطانية بتعيينهم<sup>1</sup>.

كان تعيين هؤلاء السفراء و القناصل يتمّ وفقاً لنظام الامتيازات الأجنبية في الدولة العثمانية. و قبل أن تتحوّل تلك القنصليات الأجنبية إلى أوكار للنشاط السياسي المشبوه، لم تظهر الدولة العثمانية أي تردّد في الموافقة على فتح قنصليات في أراضيها مدفوعة في ذلك بالرغبة في تطوير علاقاتها التجارية مع الدول الأوروبية ؛ كما أصدرت بعض الأنظمة الخاصة بأوضاع القناصل الأجانب على أراضيها.

و تجدر الإشارة إلى أنّ شركة الشرق الأدنى لم تعيّن قناصل في العراق بل الذين تولّوا المهام القنصلية فيه، و لاسيما في بغداد و البصرة، كانوا تابعين لشركة الهند الشرقية الإنكليزية، ثمّ لحكومة الهند البريطانية ؛ و قد اتسع نطاق التمثيل الدبلوماسي البريطاني في العراق في القرن التاسع عشر بسبب نمو و تشعب المصالح البريطانية فيه حيث تطلّب إقامة تمثيل دبلوماسي في العديد من المدن الرئيسية في العراق، و استمرّ هذا التمثيل حتى نشوب الحرب العالمية الأولى<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> صالح خضر محمد، الدبلوماسية البريطانية في العراق (1831-1914)، ط.1، دار الزمان، دمشق، ص ص 47-48.

صالح خضر، المرجع السابق، ص. 48.

## التمثيل الدبلوماسي في بغداد :

قامت بريطانيا و سلطاتها باتخاذ إجراءات سياسية و دبلوماسية لمواجهة الخطط و النشاطات الفرنسية في المنطقة و خاصة العراق، و تمثّل الاجراء البريطاني في قرار تأسيس مقيمة في بغداد منذ صيف 1798 لتكون مركزاً لجمع المعلومات و الاتصالات بين لندن و الهند، و كانت بمثابة تحوّل مهمّ في السياسة البريطانية في منطقة الخليج العربي، و التغيّر من المصالح التجارية إلى السياسة.

و قد تمّ اسناد منصب المقيم العام في بغداد إلى هارفورد بوتر، و قد كان كاتب في حكومة مومباي، و خدم في منطقة الخليج العربي بصفة مساعد للمقيم البريطاني في البصرة خلال السنوات 1784-1794 ؛ و في سنة 1798، صدرت له أوامر بالتوجّه الى بغداد لتسلم منصبه هناك، و قد كسب جونز الوالي المملوكي سليمان باشا و حمل اليه برسائل توصية مجلس المديرين في شركة الهند الشرقية، و كانت هناك عوامل سهلت مهمة جونز في بغداد و سرعة انتشار النفوذ البريطاني في العراق<sup>1</sup>، منها : شعور ولاية بغداد المماليك بالحاجة الى دعم البريطاني لهم في صراعهم مع الباب العالي من جهة و خصومهم مع المحليين، و جيرانهم الفرس الطامعين بأرض العراق من جهة أخرى و ناهيك عن التهديد الوهابي للعراق<sup>2</sup>.

و لأجل دعم مركز المقيم البريطاني في بغداد، و تقوية النفوذ البريطاني في ولاية بغداد، سعت الحكومة البريطانية الى منح المقيم البريطاني في بغداد صفة دبلوماسية، و كان جونز يلحّ باتخاذ اجراء لتحويل مقيمة بغداد إلى قنصلية بريطانية، و قد نجح السفير البريطاني توماس الكن في إسطنبول في الحصول على فرمان من السلطان العثماني في 1802 تضمن الاعتراف بجونز قنصلاً بريطانياً في بغداد و حواليها مع تمتّعه بالحصانة

العابد، مرجع سابق، ص. 136.

نفسه.

الدبلوماسية و الامتيازات ؛ و بعد زوال خطر التهديد الفرنسي في المنطقة في 1810، كان هناك اتجاه للتقليل من شأن التمثيل الدبلوماسي في العراق<sup>1</sup>، و قد تقرر في تلك السنة دمج المقيمة البريطانية في بغداد و البصرة في مقيمة واحدة عرفت باسم "مقيمه البصرة"، و عهدت إليها رعاية الشؤون الهندية و البريطانية في بغداد و البصرة. و مع أن قرار الدمج كان يقضي بأن تكون البصرة مقرًا للمقيم الذي عليه أن يرسل، إذا لزم الامر، مساعدًا أوروبيًا يعيّن لاحقًا في المقيمة لزيارة والي بغداد ؛ إلا أن تطبيق القرار أدّى عمليًا إلى إلغاء مقيمة البصرة<sup>2</sup>، ذلك أن المقيم البريطاني صار يسكن في بغداد بصفة دائمة تاركًا الأمور في البصرة إلى مساعد تابع له. و خلال عهد كلوديوس جيمس ريج الذي تولّى المنصب بين عامي 1808-1821، تحولت المقيمة البريطانية في بغداد إلى مركز قوة و نفوذ كبيرين ؛ إلا أنّ ازدياد النفوذ البريطاني في بغداد أدّى في النهاية إلى حدوث نزاع بين المذكور و بين آخر الولاة المماليك في العراق و هو داود باشا (1817-1831)، و ترتّب عن ذلك النزاع مغادرة ريج و العاملين في مقيمه بغداد<sup>3</sup>، و في أعقاب ذلك النزاع صدرت التعليمات بخصوص إدخال العراق العثماني ضمن سلطات الوكالة السياسية البريطانية في الخليج العربي<sup>4</sup>.

و من ثمّ، تحسّنت العلاقات بين داوود باشا و البريطانيين بعد تسوية خلافتهما في سنة 1823 بعقد اتفاقية جديدة بين داوود باشا و الوكيل السياسي البريطاني الجديد في العراق روبرت تايلر ؛ و عليه، لم يبقى قرار ادخال العراق ضمن سلطات الوكالة السياسية في

إبراهيم عبدالعزيز الغني، المرجع السابق، ص ص. 117-118.<sup>1</sup>

صالح خضر، المرجع السابق، ص ص. 51-52.<sup>2</sup>

صالح خضر، نفس المرجع السابق، ص. 52.<sup>3</sup>

نفسه.<sup>4</sup>

الخليج العربي حيز التنفيذ طويلاً، و تقرّر جعل الوكالة السياسية منفصلة عن مقيمة الخليج العربي.

و اتسمّ العقد الثالث من القرن التاسع عشر بتضائل اهتمام حكومة بومبي (٤) بالتمثيل الدبلوماسي البريطاني في العراق إلى حدّ أنّ المسؤولين فيها دعوا إلى إغلاق الوكالة السياسية فيه، أكثر من مرّة؛ إلاّ أنّ التطوّرات التي شهدتها المنطقة منذ مطلع العقد المذكور آنفاً، و لا سيما تزايد النفوذ الروسي في بلاد فارس و الدولة العثمانية، و التوسّع المصري في بلاد الشام<sup>1</sup>، رفع مجدّداً من شأن الوكالة السياسية البريطانية في العراق و زاد الاهتمام بها، و يبدو ذلك في الرغبة التي أبدتها مجلس المديرين في شركة الهند الشرقية الإنكليزية في سنة 1832 بخصوص إقامة الوكيل السياسي في بغداد للحصول على معلومات أدقّ، و إقامة علاقات أحسن مع والي بغداد العثماني علي رضا باشا (1831-1842) و أن يعهد بأمور البصرة إلى مساعد أروبي أو وكيل محلي، و بناء على ذلك استقرّ الوكيل السياسي في بغداد، و مع أن تايلر قدّم اقتراحاً في سنة 1833 بأن ينتقل من بغداد إلى موقع آخر في الشمال لمراقبة النشاط الروسي عن كثب، إلاّ أنّ حكومة مومباي رفضت ذلك، و من دلائل زيادة أهمية الوكالة السياسية في العراق أيضاً أن مجلس المديرين طلب في الوقت نفسه من الوكيل السياسي في العراق أن يعمل تحت اشراف السفير البريطاني في إسطنبول و أن يتراسل معه بحريّة كاملة بجميع الوسائل التي يعتقد أنّها ستؤثّر بشكل عامّ على العلاقات البريطانية العثمانية و أن يرفع لحكومة بومبي نسخاً من تلك المراسلات؛ و في سنة 1835، صدرت أوامر جديدة جعلت الوكيل السياسي البريطاني في بغداد تابعاً لحكومة الهند و ليس حكومة بومبي، و ذلك من خلال المقيم البريطاني في بوشهر<sup>2</sup>.

نورس علاء موسى كاظم، حكم المماليك في العراق، بغداد، دن، د.ط، 1975، ص ص 111-113.

لوريمر، دليل الخليج القسم التاريخي، ج4، ص ص. 1338-1339.

و على ضوء نمو المصالح البريطانية في العراق منذ بداية أربعينيات القرن التاسع عشر، تزايد تدفق عدد الرعايا البريطانيين من الهند لزيارة المدن المقدسة في العراق، و تأكّدت مرّة أخرى أهمّية الوكالة السياسية البريطانية في العراق في متابعة المصالح البريطانية النامية و المسائل السياسية ذات الصلة بالعلاقات العثمانية البريطانية، و في سنة 1841 جرت تسمية الوكيل السياسي روبرت تايلر قنصلاً بريطانياً في بغداد، و تمّ الشيء ذاته في سنة 1844 بالنسبة للرائد رولنسون خليفة تايلر في الوكالة السياسية في بغداد ؛ و في 1851، رقي هذا الأخير إلى درجة قنصل عام لبريطانيا في بغداد و تركيا، و منذ ذلك الحين أخذ مركز الوكالة السياسية في العراق صفة القنصلية العامة<sup>1</sup>.

و خلال العقدين التاليين، لم يطرأ أيّ تغيير على وضع و مركز الوكيل السياسي و القنصل العام في بغداد، بيد أن حملة مدحت باشا على الأحساء سنة 1871، و المضاعفات التي ترتبت عليها بالنسبة للعلاقات البريطانية العثمانية في العراق و الخليج العربي أدّت إلى حدوث تغييرات أخرى في التمثيل الدبلوماسي في بغداد، و خلال الفترة 1831-1914، تولّى منصب الممثل البريطاني 16 شخصاً معظمهم كانوا ضبّاطاً تابعين لقسم الخدمة السياسية في حكومة الهند<sup>2</sup>، باستثناء حالة واحدة تولّى فيها طبيب تابع لقسم الخدمة الطبية الهندية و حالتين تولّى فيهما مدنيان من قسم الخدمة المدنية الهندية، كما سبق لقسم من هؤلاء الممثلين تولي مناصب أخرى ذات طبيعة مماثلة في الخليج العربي، و تولّى بعضهم مناصب سامية فيما بعد، و لم يكن جميع الذين تولّوا مسؤولية التمثيل البريطاني في بغداد على نفس المستوى من الأداء و القدرة و الشهرة، و يمكن القول أنّ مهام

لوريمر، المصدر السابق، ص. 1394.<sup>1</sup>

قاسم، مرجع سابق، ص. 207.<sup>2</sup>

المسؤولين الأوائل و دورهم في تعزيز النفوذ البريطاني في العراق كان أكثر أهمية من المسؤولين اللاحقين<sup>1</sup>.

### مهام الدبلوماسيين البريطانيين في العراق :

من المعروف أنّ مهام الدبلوماسيين ممّن هم بدرجة قنصل أو نائب قنصل كانت تنحصر في أمرين أساسيين : أولهما رعاية المصالح الاقتصادية لدولتهم، و لاسيما التجارية منها في البلدان التي يعملون فيها، و ثانيهما الإشراف على شؤون رعايا دولتهم في تلك البلدان ؛ و قد تجاوزوا تلك المهمّتين و قاموا بمهام استخباراتية و سياسية استهدفت تعزيز النفوذ البريطاني في العراق، تمهيداً لإخضاعه للسيطرة البريطانية المباشرة، بل إنّ العديد من أولئك الدبلوماسيين دعوا صراحةً إلى احتلال بريطاني للعراق، فيما يعدّ خرقاً للقوانين و الأعراف الدبلوماسية و تجاوزاً لسيادة البلاد التي عملوا فيها و تدخّلوها في شؤونها الداخلية، و عليه تمثّلت مهام الدبلوماسيين البريطانيين في العراق في خمس مهام رئيسية هي : جمع المعلومات و المهام الاستخبارية، و دعم المصالح و تعزيز النفوذ البريطاني في العراق، الإشراف على شؤون الرعايا البريطانيين، و مراقبة النشاط الأجنبي<sup>2</sup>.

### العلاقات المحلية للدبلوماسيين البريطانيين في العراق :

#### العلاقات مع السلطات العثمانية في العراق :

اختلفت طبيعة علاقة الدبلوماسيين البريطانيين بالسلطات العثمانية في العراق من وقت لآخر تبعاً لعوامل عديدة منها : طبيعة العلاقات العثمانية البريطانية عموماً و بالأخصّ موقف الدبلوماسيين البريطانيين و الولاة العثمانيين إزاء مصالح و سياسات الطرف الآخر،

صالح خضر، المرجع السابق، ص. 158.

فاضل زكي محمد، الدبلوماسية في النظرية و التطبيق، بغداد، ط. 2 ، 1968، ص. 125.

علمًا بأنّ بعض الولاة العثمانيين شعروا أنّ وجود أولئك الدبلوماسيين يشكّل قيدًا على سياساتهم ؛ و من جهة أخرى، لم يتوانى بعض الدبلوماسيون البريطانيون في استخدام نفوذهم لعزل بعض الولاة في العراق.

كما كانت السلطات العثمانية عاجزة عن الحد من نفوذ الدبلوماسيين البريطانيين و تزايد المصالح البريطانية في العراق<sup>1</sup>.

علاقات الدبلوماسيين البريطانيين مع العشائر و الاتحادات القبلية العربية و الإمارات الكردية و الأقليات الدينية :

اهتمّ الدبلوماسيون البريطانيون بإقامة صلات مع القوى المحلية من عشائر و اتحادات قبلية عربية و إمارات كردية و أقليات دينية في العراق بما يخدم تعزيز النفوذ البريطاني،<sup>2</sup> و يضمن المصالح البريطانية في العراق، فقد أدركت تلك القوى المحلية مدى نفوذ الدبلوماسيين البريطانيين و تأثيرهم<sup>3</sup>، لذا سعت إلى الاستفادة من العلاقة معهم في مواجهة السلطات العثمانية، و خاصّة عندما تتدهور العلاقة بين تلك السلطات و القوى المحلية، و في مقدّماتها العشائر و الاتحادات القبلية العربية<sup>4</sup>.

**التغلغل الألماني في الدولة العثمانية و قيام سكة حديد برلين-بغداد:**

صالح، المرجع السابق، ص ص 125-126.<sup>1</sup>

نوار، المرجع السابق، ص. 41.<sup>2</sup>

صالح خضر، المرجع السابق، ص 170.<sup>3</sup>



كان مشروع سكة حديد بغداد من أشد المشاكل التي جابهتها الدول الأوربية الاستعمارية في أواخر القرن التاسع عشر و أوائل القرن العشرين تعقيداً، و من أقوى العوامل في سوق تلك الدول إلى خوض غمار الحرب<sup>1</sup>.

و بدأ النفوذ الألماني بالتغلغل في الدولة العثمانية عن طريق إرسال بعثات عسكرية لتدريب الجيش العثماني، فقد وجد العثمانيون في ألمانيا الدولة الوحيدة التي ليست لها أطماع واضحة في أراضيهم<sup>2</sup>، حيث كانت الدولة العثمانية تحتلّ مكان الصدارة في مخططات ألمانيا التوسّعية<sup>3</sup>، و كان النفوذ الألماني في الإمبراطورية العثمانية قد توسّع و نما نموّاً لا يتناسب و نفوذ الدول الأخرى قبل نشوب الحرب، و كان واضحاً من الناحية العسكرية بالأخص<sup>4</sup>.

و تركّزت أهداف الألمان في الدولة العثمانية في الاستقرار بالمناطق الغنية فيها و استخدامها كنقطة ارتكاز لتوسّعهم اللاحق في الشرق، و ترسيخ النفوذ الألماني الاقتصادي و السياسي فيها. و كان بناء السكك الحديدية في الدولة العثمانية إحدى الوسائل الفعّالة التي لجأ إليها للتغلغل في تلك الدولة<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> عبد الفتّاح إبراهيم، على طريق الهند، جمع و تحقيق شهاب أحمد الحميد، ط. 3، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، 2004، ص. 107.

كارلتون هيز، التاريخ الأوربي الحديث 1800-1918، ترجمة فاضل حسين، جامعة الموصل، 1987، ص. 392.<sup>2</sup>  
<sup>3</sup> هاشم صالح التكريتي، "التغلغل الألماني في المشرق العربي قبيل الحرب العالمية الأولى"، في مجلة المؤرخ العربي، العدد 26، السنة 11، بغداد، 1985، ص. 43.

<sup>4</sup> جورج لتشوفسكي، الشرق الأوسط في الشؤون العالمية، ترجمة جعفر الخياط، مراجعة محمود حسين الأمين و إبراهيم حمد السامرائي، مؤسسة فرانكلين للطباعة و النشر، نيويورك، 1964، ص. 63.

<sup>5</sup> هاشم ، المصدر السابق، ص ص 46-48 .

## امتياز سكة حديد بغداد :

في عام 1892، أعلن السلطان عبد الحميد الثاني عن عزمه بمدّ شبكة خطوط حديدية عبر الأراضي العثمانية، بحيث تكون مكّمة للخط القادم من ألمانيا، و الذي كانت هذه الأخيرة قد حصلت على امتيازه عام 1882 ؛ و ذلك بشكل يسمح بتحقيق وحدة سياسية و عسكرية و إدارية بين أرجاء البلاد<sup>1</sup>. و كان الامبراطور الألماني وليم الثاني قد قام بزيارة الدولة العثمانية للمرّة الثانية في 1898، و تمخّضت عن هذه الزيارة نتائج مهمّة بالنسبة للتغلغل الألماني في أقطار الدولة العثمانية، حيث نتج عن هذه الزيارة موافقة السلطان على منح الألمان مبدئيًا في 1899 امتياز سكة حديد برلين-بغداد<sup>2</sup>، التي كان من المقرر أن تمرّ عبر هامبورغ و برلين، و فيينا و الأستانة و بغداد حتّى الخليج العربي ؛ و كان الهدف من مدّ هذا الخط الحديدي استغلال المواد الخامّ و أهمّها القطن<sup>3</sup>، و كان إعطاء الامتياز النهائي لسكة حديد بغداد في سنة 1902، بموجب عقد امتياز وقّعه من الجانب التركي ذهني باشا وزير الأشغال و التجارة باسم الحكومة التركية، و من الجانب الألماني الدكتور زندر المدير العامّ لشركة سكة حديد الأناضول<sup>4</sup>، و نصّ الامتياز على عدّة موادّ يمكن إجمال أهمّها فيما يلي :

1 خضر خضر ، تطور العلاقات الدولية من الثورة الفرنسية وحتى بداية الحرب العالمية الاولى 1789-1914 ، لبنان ،

المؤسسة الحديثة للكتاب ، ص 336.

جون هاسلب ، السلطان الاحمر، تعريب: فيليب عطاالله ، بيروت، دار الروائع الجديدة ، 1974، ص 278.

لوكاز هيرزوير ، المانيا الهلترية والمشرق العربي ، تر: احمد عبد الرحيم مصطفى ، القاهرة ، ص ص 12-13 .<sup>3</sup>

لؤي بحري ، سكة حديد بغداد"دراسة تطور ودبلوماسية قضية سكة حديد برلين-بغداد حتى عام 1914، الشركة الاهلية

للنشر والتوزيع، بغداد 1968، ص 69.

- مدّة الامتياز 99 عامًا.
- تعهّد الحكومة التركية بتقديم الأراضي الضرورية الخاصّة بمدّ السكّة إلى الشركة الألمانية بدون أن تدفع الأخيرة ثمنًا لها.
- التزام المصالح الألمانية الحاصلة على الامتياز بالاشتراك مع المصالح المالية العثمانية لإنشاء شركة تدعى بالشركة الإمبراطورية العثمانية لسكّة حديد بغداد.
- وجوب إخضاع نقل الضباط و الجنود إلى جانب القطع و المعدّات الحربية في حالة الحرب أو السلم إلى رقابة الحكومة التركية.
- الحق في سحب الامتياز من الشركة في أيّ وقت تشاء الحكومة التركية مقابل دفع تعويض عن المدة الباقية من الامتياز<sup>1</sup>.

### موقف بريطانيا من سكّة حديد بغداد 189-1914 :

كان اهتمام بريطانيا بسكّة حديد بغداد ينبع من اهتمامها بالعراق و شبه الجزيرة العربية و الخليج العربي بالأساس و ضرورة حماية مصالحها الاستعمارية في الهند و طرق المواصلات المؤدّية إليها<sup>2</sup>، و موضوع سكّة حديد بغداد كان يمس منذ البداية و بصورة مباشرة المصالح و الوجود البريطاني في الهند و الخليج العربي و الشرق الأوسط ؛ و هكذا عارضت بريطانيا مشروع السكّة لأنّها اعتبرته وسيلة لتوسّع النفوذ الألماني إلى الشرق و السيطرة على منطقة الخليج العربي<sup>3</sup>، كما أنّ هذا الخط سيّتيح لألمانيا فرصة ذهبية للوصول إلى البحر المتوسط من جهة و إنشاء ميناء بحري في منطقة الخليج من جهة أخرى يتحوّل

<sup>1</sup> لؤي بحري، سكة حديد بغداد، مرجع سابق، ص ص. 69-72.

<sup>2</sup> يوسف حسين يوسف عمر، "موقف بريطانيا من سكّة حديد بغداد 1898-1914"، في المجلة الأردنية للتاريخ و الآثار،

العدد 4، المجلد 6، 2012، ص 174.

<sup>3</sup> لؤي بحري، مرجع سابق، ص 136.

مع مضي الوقت إلى قاعدة بحرية ألمانية<sup>1</sup>، كما كانت بريطانيا تنظر إلى الخليج العربي على أنه البوابة البحرية للهند من ناحية و للعراق من ناحية أخرى، كما أنّ استمرار هذا المشروع سيؤدي إلى القضاء على السيطرة البريطانية المنفردة على الخليج، و إلى تهديد نفوذها السياسي و العسكري و التجاري المتفوق في الهند، كما أنه سيؤدي الى تهديد مركز بريطانيا الاستراتيجية في قناة السويس.<sup>2</sup>

كانت بريطانيا تخشى من أن تهدد ألمانيا مصالحها و آمالها و مطامعها ليس في السويس و مصر فقط بل و في القارة الإفريقية أيضاً، و كانت تخشى أيضاً أن يصبح موقفها حرجاً فيما بعد في فارس و منطقة الفرات و دجلة، و التي يوجد لبريطانيا فيها مصالح سياسية و اقتصادية و استراتيجية بالإضافة الى التجارة.<sup>3</sup>

و كانت بريطانيا قليلة الاهتمام بشأن هذه السكة التي كان من المقرر بادئ الأمر أن تنتهي في بغداد، لكن بعد معرفة أن السكة سوف تمتد حتى البصرة، أي إلى الخليج، فإنها أبدت اهتماماً أكبر بالخليج و اتخذت موقفاً مغايراً<sup>4</sup>، لأنها ستجلب الولايات لمصالحها في المنطقة.<sup>5</sup>

## الملاحم الكبرى للحرب العالمية الأولى :

<sup>1</sup> يوسف عمر، مرجع سابق، ص 174.

عبد العزيز محمد الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج 3، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، ص 200.

يوسف عمر، المصدر السابق، ص 184.

Langar, William, L. the diplomacy Imperialism, 1890-1902

New York, Alfred A . Konpf, p182.

يوسف عمر ، المصدر السابق، ص 184.

إذا قمنا نظرة على المصالح الأوروبية الكبرى يمكننا تفهم طبيعة الخلاف الذي اشتدّ مطلع القرن العشرين، حيث كان الخلاف ينحصر في المسائل التالية :

- التنافس النمساوي الروسي في البلقان.
  - التنافس البحري بين إنجلترا و ألمانيا، كما أنّ التنافس التجاري أثار حفيظة إنجلترا و أفسد العلاقات بين الدولتين.
  - التنافس الفرنسي الألماني في مراكش منذ عام 1904.
- و من هنا يتضح لنا أن الأسباب التي أدت الى قيام الحرب العالمية الأولى، إنّما ترجع إلى الفترة الممتدة من عام 1904 إلى 1913، نذكر منها :

- المشكلة المراكشية (1904-1905) : نلاحظ أنّ الاتفاق الودّي بين إنجلترا و فرنسا عام 1904 أدى الى تعصّب ألمانيا و سعت إلى اظهاره بمظهر العقم في مجال السياسة الدولية حيث طالبت المانيا بعقد مؤتمر، و أيّدها النمسا في مطلبها، و قرّر المؤتمر ضمان استقلال بلاد المغرب، و المحافظة على سياسة الباب المفتوح بالنسبة لتجارتها.

- أزمة ضمّ البوسنة (1908-1909) : لقد ضمت النمسا المجر إلى إمبراطوريتها البوسنة و الهرسك، حيث لم يكن هذا الضمّ موجّهًا ضدّ الدولة العثمانية بقدر ما اعتبر ضربة قاسية للجامعة السلافية التي تقودها روسيا<sup>1</sup>.

- أزمة اغادير 1911 : اتهمت ألمانيا الحكومة الفرنسية بأنّها تسعى إلى إعلان الحماية على بلاد المغرب متجاهلة المصالح الألمانية، فوافقت فرنسا على التفاوض مع غريمتها، و اتفقت كلا الدولتان على الحماية الفرنسية على مراكش، مع تعويض ألمانيا

عمر عبد العزيز عمر ، اوروبا 1815-1919، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية، ص ص 349- 352. <sup>1</sup>

باقتطاعها جزء من الكونغو الفرنسي ؛ و هذه الأزمة أدت إلى نتيجة هامة، و هي أنّ بريطانيا تعدّت في علاقاتها مع فرنسا مجال الوفاق إلى مجال التحالف.

• **الحروب البلقانية (1912-1913) :** أدت الحروب البلقانية إلى نتائج مهّدت إلى قيام الحرب العالمية الأولى، فبلغاريا خرجت من الحرب و لم تسرع روسيا لإنقاذها، و هنا توترت العلاقات الروسية-البلغارية.

• **السباق نحو التسلّح :** أدى إلى حدوث توتر في العلاقات الدولية، فهياً الأذهان لتقبّل فكرة الحرب و أدى ذلك بالتالي إلى محاولة كلّ حكومة أن تستكمل استعداداتها الحربية قبل غيرها، و أيدت التطوّرات إلى حدّ كبير صحة النظرية القائلة بأنّ التسابق على التسلّح يفضي إلى الحرب.

• **التنافس على المصالح الاقتصادية :** حيث يعتبر هذا التنافس بين الدول الصناعية الكبرى من أهمّ أسباب قيام الحرب<sup>1</sup>.

• **سكّة حديد برلين-بغداد :** لقد كان سبب من أسباب الحرب العالمية الأولى، حيث أنّ ألمانيا أصبحت قوة عالمية لأول مرة في تاريخها، و بدأت تسعى للحصول على المستعمرات و هدّدت الهيمنة البريطانية في البحار، و في الشرق الأدنى بدأت تتوغّل اقتصادياً داخل الدولة العثمانية، و كانت سكّة حديد برلين-بغداد رأس حربة هذا التوغّل، و على الرغم من أنّ ألمانيا، روسيا، فرنسا، و بريطانيا كانوا قد توصلوا إلى اتفاقيات بخصوص السكّة قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى، إلاّ أنّ المشروع كان قد تسبّب بشكل كبير في تسميم المناخ الدولي<sup>2</sup>. لقد كانت ألمانيا مقتنعة بأنّ معارضة قوى التحالف لم تكن سوى جزء من سياسة المحاصرة التي انتهجتها كلّ من روسيا و بريطانيا

1. عمر عبد العزيز ، المرجع السابق، ص 358.

2. الشناوي، المرجع السابق، ص ص. 189-190.

و فرنسا، الذين اصبحوا يشعرون بريبة شديدة تجاه المخططات الألمانية المتعلقة بسكّة حديد برلين<sup>1</sup>.

لابدّ من القول أنّ سكّة حديد برلين-بغداد قبل الحرب وصلت إلى نقطة قريبة من الخليج، على الرغم من أنّها لم تصل إلى البصرة، حيث يمكن استخدام مصبّ نهر الفرات في منطقة شطّ العرب في الملاحة البحرية، و بصرف النظر عن تحقيق الخط أو عدم تحقيقه، فإنّ المهمّ هو دخول المنطقة التي تضم العراق والخليج العربي، في فكر رجال الاقتصاد و السياسة و الجيش الألماني، و بذلك أصبحت المنطقة منطقة تنافس دولي للسيطرة عليها اقتصاديا و سياسيا و عسكريا<sup>2</sup>.

### دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى إلى جانب ألمانيا :

لقد سعت ألمانيا جاهدة وراء دخول الدولة العثمانية الحرب إلى جانبها، حيث ألغى الاتحاديون في سبتمبر 1914 جميع الامتيازات الأجنبية و تمّ الاستيلاء على دور البريد الأجنبية، و تقرّر خضوع الأجانب في الإمبراطورية للقوانين الأجنبية و محاكمتهم أمام المحاكم الدولية، كما أصدر أنور باشا أمر بإغلاق المضيقين في وجه السفن الأجنبية، و ذلك رغبة منه في الحيلولة دون تدخّل دول الوفاق، و قدّمت الدولة العثمانية تحسّبا معونة مادية و أمداد عسكرية للعراق<sup>3</sup>.

تردّدت الدولة العثمانية في دخول الحرب طامعة في الحصول على ضمانات أوربية بضرورة سلامة الأراضي العثمانية، فكان للدولة العثمانية في ذلك خيارين اثنين : إمّا أن تتحالف مع فرنسا و بريطانيا فتعلن الحرب على ألمانيا، أو أن تنضمّ إلى ألمانيا و تساعد

<sup>1</sup> اراس حسين الفت، سكّة حديد برلين بغداد 1880-1914. دراسة في العلاقات الدولية، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة بغداد، 2015، ص ص. 119-120.

<sup>2</sup> جمال محمود حجر، القوى الكبرى والشرق الأوسط في القرنين 19 و 20، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1989، ص 128.

<sup>3</sup> إسماعيل احمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، الرياض، 2003، ص. 220.

في تحطيم روسيا ؛ و لكن الدولة العثمانية فضّلت الخيار الثاني بعد طول تفكير ؛ إذ كان هناك ضغط ألماني كبير على الدولة العثمانية في تلك الأثناء لإعلانها الحرب، حيث قدّم السفير في 1914 لإسطنبول مبلغ 2 مليون قرش للحكومة العثمانية، إذا دخلت الحرب إلى جانب دول الوسط ؛ و بعد أن تسلّمت الحكومة فعلاً هذا المبلغ<sup>1</sup>، أقدمت على قطع علاقاتها مع دول الحلفاء و أعلنت عن فتح المضائق للقطع البحرية الألمانية، و بهذا قطعت الاتصال بين روسيا و حلفائها، و منعت إيصال الإمدادات لها كما أغلقت الدردنيل، فكان هذا بمثابة ضربة قوية وجهتها لروسيا<sup>2</sup>.

و خلال الحرب، اتبع أنور باشا استراتيجية تستند إلى نداءات الجامعة الإسلامية، التي نجحت بعض الشيء في ازعاج الانجليز و الفرنسيين بضرب أمنهم في مستعمراتهم الإسلامية، و كان أكبر نصر أحرزه الأتراك العثمانيون هو صدّهم لحملة الدردنيل والبوسفور، و لقد تكاثف الاتراك و الألمان في الدفاع عن شبه جزيرة غاليبولي حتى اضطرّ الحلفاء للانسحاب في أوائل 1916.

### حملة الدردنيل 1915 :

عندما نشبت الحرب العالمية الأولى في مطلع شهر أوت 1914 و دخلتها الدولة العثمانية في نفس السنة إلى جانب دولتي الوسط ألمانيا و النمسا المجر، حيث قامت الدولة العثمانية ببث حقول من الألغام البحرية سرّاً في مياه المضائق حيث وصلت شائعات بقرب هجوم بريطانيا و حليفاتها على الدردنيل و البوسفور و احتلال إسطنبول، و لم تلبث ان تحققت هذه الشائعات بعد أقلّ من سنة من دخولها الحرب<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> المنصور ميمونة حمزة، تاريخ الدولة العثمانية، ط. 1، الحامد، عمّان، 2008، ص. 154.

<sup>2</sup> فراس البيطار، الموسوعة السياسية و العسكرية، ج. 1، دار أسامة للنشر و التوزيع، عمّان، 2003، ص. 1271.

<sup>3</sup> الشناوي، المرجع السابق، ص ص. 189-190.



**أسبابها :**

خلال السنة الثانية من الحرب العالمية الأولى، و بينما كانت تزداد حراجة موقف روسيا الحربي، قامت بريطانيا بإرسال حملة لمهاجمة الدردنيل و البوسفور، لتفتح الطريق أمام الأساطيل البريطانية و الفرنسية عنوةً إلى البحر الأسود، لأن إغلاق هذه المنطقة كان يحول دون امداد روسيا بالذخائر و الأسلحة التي كانت في أمس الحاجة إليها، إذ كانت قد استنفذت احتياطها من الذخائر، و لم يكن في مقدورها أن تلبى سوى ثلث حاجياتها اليومية من الذخائر التي تنتجها مصانعها ؛ و كانت بريطانيا تخشى أن تضطر روسيا إلى الخروج من الحرب لنقص الذخائر لديها، فإذا نجحت هي و حليفها في بسط سيطرتها العسكرية على الدردنيل و البوسفور، يكون في استطاعتها إرسال الذخائر و القوّات البحرية بشكل عاجل إلى روسيا، التي كانت تعاني أشدّ العناء من الحصار الألماني، و كانت بريطانيا قد أعطت روسيا آمالاً كبيرة على حملة الدردنيل، لأنّ أي مكسب عسكري تحرزته قوّاتها يتضاءل أمام استيلائها على تلك العاصمة العتيقة، لكن في الأخير فشلت حملة الدردنيل بحرياً و برياً<sup>1</sup>.

**الثورة العربية الكبرى :**

مراسلات الشريف حسين - مكماهون:

كانت العلاقة سيئة بين الشريف حسين امير مكة وتركيا ، حيث كان يعمل الشريف حسين

في الخفاء للانفصال عن الدولة العثمانية ، بل ويعمل أيضا لاستعادة الخلافة الإسلامية

منهم ، ولذلك صمم الاتراك على التخلص من الشريف حسين وقرروا تعيين وهيب بك واليا

<sup>1</sup> الشناوي، المرجع السابق، ص ص 189-190.

على الحجاز، ولكن الشريف حسين امكنه من احباط مساعي وهيب بك بعد ادراكه ماكانت تدبره الدولة العثمانية.

وقد استغلت إنجلترا الوضع والعلاقة السيئة بين تركيا والشريف حسين ورغبته في استقلال

الحجاز وطموحه في تحقيق أملاك عربية واسعة يتزعمها فبادرت إنجلترا الى الاتصال به

وجرت مفاوضات بينه وبين هنري مكماهون المعتمد البريطاني في مصر في جويلية

1915، وانتهت في مارس 1916 وهذه المفاوضات تعرف باسم مراسلات الحسين .

مكماهون. كان الشريف حسين يسمى هذه الرسائل مقررات النهضة لتضمنها الأسس التي

قامت عليها الثورة العربية وهذه الاتصالات كانت سرية حتى اعلان الثورة ، وفي الرسائل

التي بعث بها السير هنري مكماهون الى الشريف حسين تعهد الانجليز بتكوين مملكة عربية

بزعامة الشريف حسين<sup>1</sup> .

---

حلمي محروس اسماعيل ،المرجع السابق ،ص 485-486 .<sup>1</sup>

ومن خلال المراسلات التي تبودلت بين السير هنري مكماهون والشريف حسين ابدى المعتمد البريطاني بعض التحفظات على اقتراحات الشريف حسين بشأن الدولة العربية المراد انشاؤها وتتركز هذه التحفظات فيما يلي :

توجد مصالح بريطانية في جنوبي العراق لايمكن اغفالها ، هناك بعض الجهات والاقسام ليست عربية خالصة وتقع في شمالي سوريا ومنها مرسين واطنة والاسكندرونة، وفي غرب دمشق وحمص وحلب ، كما لفرنسا مصالح لا يمكن تجاهلها في المناطق الساحلية من سوريا . ورد الشريف حسين على هذه التحفظات ب:

يمكن تأجيل التفاهم على المصالح البريطانية في جنوبي العراق الى ما بعد الحرب، استعداد الحسين للتنازل عن بعض المدن التي تضم اغلبية الاترك ، ورفض ادعاءات فرنسا بشأن نفوذها في المناطق الساحلية السورية والتي تعتبر بلادا عربية خالصة<sup>1</sup> .

ومن نتائج المراسلات نذكر :

اعترفت بريطانيا باستقلال العرب والحق في انشاء دولة عربية يتفق على حدودها فيما بعد.

---

حلمي محروس ، المرجع السابق ، ص 487<sup>1</sup>.

تعهد الحسين بإعلان الثورة على الترك .

### دوافع بريطانيا للثورة :

كان حماس الموظفين الأتراك في تحقيق مخططات حكومتهم في منطقة الخليج العربي، يعد من ناحية أخرى بتأجيج الصراع بين الحكومتين البريطانية و العثمانية. على أن الخلاف بين الطرفين لم يتخذ صورة إجرائية إلاّ في شهر يوليو 1908، حينما أرسلت السلطات العثمانية في البصرة فرقة جنود لاحتلال جزيرة الزخونية<sup>1</sup> ؛ و لقد استعملت بريطانيا العرب كوسيلة للردّ على الدولة العثمانية، و اعتمدت أساساً على استخدام عرب المشرق ذاتهم كسلاح تشهره في وجه حكّامهم العثمانيين و تشجيعهم على الثورة، هذا الى جانب القيام ببعض العمليات العسكرية كان مسرحها أقطار المشرق العربي مثل الحملة البريطانية القادمة من الهند لغزو العراق انطلاقاً من الجنوب سنة 1914<sup>2</sup>.

كانت بريطانيا تعلم و تدرك على أنّه في السنوات السابقة على نشوب الحرب العالمية الأولى مباشرة، و في ظلّ حكم الاتحاديين عمّ السخط في أقطار المشرق العربي على الحكم العثماني، و زادت الهوة بين العرب و الترك بسبب سياسة الاتحاديين التي ضاق بها العرب ذرعاً، و تكوّنت جمعيات علنية و سرّية بإيعاز غربي تدعو أن يكون للعرب كيان خاصّ داخل الدولة العثمانية، حيث رأت بريطانيا ان تستخدم العرب لضرب الدولة العثمانية، و هكذا وجدت بريطانيا ضالتها في تحريض العرب ضدّ الأتراك و اتخاذ الأجانِب الأسباب والوسائل المتاحة لها لكسب العرب و ايهاهم باستقلالهم و تكوين دولة عربية تضمّ الشام و الحجاز، و كان نظام الحكم التركي سبب في هذه الثورة<sup>3</sup>. اما حسين فقد وصف ثورة العرب

<sup>1</sup> الزخونية : هي جزيرة صغيرة تقع في الجنوب الشرقي من ميناء العقبة على مسافة عشر أميال من الساحل الغربي لخليج.

منسي، المرجع السابق، ص. 2.5

نفسه، ص. 3.6

على الترك بانها واجب ديني ، واتهم الحكام الاتراك بالخروج عن الإسلام ،وسوء العلاقات مع الدولة العثمانية نتيجة سياسة التتريك التي سارت عليها حكومة الاتحاديين، وفوق ذلك ذكر ان ثورة العرب على الترك فرصة قد هيئتها الحرب العالمية لتحقيق استقلالهم .

### اندلاع الثورة العربية الكبرى :

بعد أن ضمّ العثمانيون منطقة الحجاز إلى دولتهم تركوا الحكم فيها لعهدة الأشراف و استمرّ ذلك حتّى بداية الحرب العالمية الأولى، و كان يحكم في تلك الفترة الشريف حسين بن علي، و كانت العلاقات سيئة بينه و بين الأتراك العثمانيين، و في تلك الفترة تعاظمت الدعوة بين العرب الأحرار للثورة ضدّ العثمانيين، و اتصلت الجمعيات العربية بالشريف حسين تعرّض عليه قيادة الثورة

اتجهت بريطانيا إلى الجزيرة العربية و استعانت بالشريف حسين في الحجاز

### اعلان الشريف حسين الثورة:

أذاع الشريف حسين منشورًا يعلن فيه الثورة و بيان دوافعها و استهله بآية كريمة، و ذكر في بيانه أن الأتراك أسرفوا في أموال الدولة و أغرقوها بالقروض و الديون، و لقد قوبل نبأ إعلان الثورة في المحافل الدولية بالدهشة، لأنّهم كانوا يعتقدون بأنّ العرب غير قادرين على القيام بهذه المبادرة الجريئة.

و كانت مبادئ الثورة العربية قد وضعت بالاتفاق ما بين الحسين بن علي و قادة الجمعيات العربية في سوريا و العراق في ميثاق قومي عربي غايته استقلال العرب و انشاء دولة عربية حديثة، و قد وعدت الحكومة البريطانية العرب من خلال مراسلات الحسين-

مكماهون عام 1915 بالاعتراف باستقلال العرب مقابل اشتراكهم في الحرب إلى جانب الحلفاء ضد الأتراك<sup>1</sup>.

بدأ الصراع العثماني البريطاني بالحجاز بتأييد بريطانيا للثورة العربية التي أعلنها الحسين بن علي ضد الدولة العثمانية، تلك الثورة التي أعلنت في المدينة المنورة 5 جويلية 1916، و حدث صدام بين الاتراك من جهة و بين الانجليز و قوّات الثورة العربية من جهة أخرى و كان الحسين ينوي إقامة ملكية عربية تضمّ الحجاز و بلاد الشام لتكون تحت حكمه هو و أبنائه<sup>2</sup>،

حيث كان الشريف حسين يتطلّع الى قيام مملكة عربية تضمّ أقطار المشرق العربي الآسيوية.

و لكن بريطانيا أرادت التهرّب من تحديد حدود منطقة الاستقلال العربي، و كان رد الشريف علي موافقته على التنازل عن جنوب العراق لبريطانيا لفترة محدودة، و مقابل مبلغ، كما وافق على التنازل لفرنسا على سواحل الشام و بشروط مماثلة بدعوى رغبته في عدم تكدير العلاقات بين بريطانيا و فرنسا.

لقد كانت بريطانيا تسعى باستمالتها الشريف حسين تحقيق هدفين أولهما ابطال مفعول الحرب الدينية التي أعلنت باسم الخليفة، و تهدئة فورة المسلمين داخل الإمبراطورية البريطانية و خارجها، إلى جان كسب ولاء عرب بادية الشام و العراق و ضمان معونة القبائل القاطنة على جانبي القوات البريطانية في العراق و سيناء حتّى لا تعرقل تقدّمها أو تهدّد مواصالاتها<sup>3</sup>.

احمد اسماعيل ياغي ، ص 67.

أحمد إسماعيل ياغي، المرجع السابق، ص. 69.

منسي، مرجع سابق، ص. 89.

أما الهدف الثاني، فكان سعي البريطانيين لكي يقيموا بعد الحرب دولة أو دويلات إسلامية مستقلة على أنقاض الإمبراطورية العثمانية المتداعية، على أن تكون هذه الدولة أو الدول تحت شكل من أشكال السيطرة البريطانية ، و تقوم بالتالي بدورها التقليدي في حماية مواصلات بريطانيا مع الهند.

لقد أوفى الشريف من جانبه وعده لبريطانيا و أشعل الثورة و نجح في إرباك الأتراك ؛ و الجدير بالذكر أنه أعلن نفسه "ملك العرب" في 21 يونيو 1916، غير أن بريطانيا و فرنسا و حلفائهما اعترفوا به ملكًا للحجاز فقط ،ومع ذلك كان الحسين يعتقد ان اماله ستتحقق بعد الحرب العالمية وانتهائها لصالح الحلفاء ولصالحه ، وان إنجلترا ستعمل لإرضائه .

و بالمقابل، أمدت بريطانيا الحسين بالمال و السلاح و المؤن، و سمحت للضباط العرب الذين أسرهم بالالتحاق بجيشه، و في مقدمتهم جعفر العسكري و نوري السعيد<sup>1</sup>.

وفد على الحجاز عميل الاستخبارات لورنس، و فريق من الضباط البريطانيين و عين الأمير فيصل قائد المنطقة الشمالية ؛ و تمكن افراد القبائل الذين انضموا الى الحركة من تفجير خط سكة قطارات الحجاز بمساعدة ضباط المخابرات، و منعوا وصول الدعم التركي الى الحجاز، و عملوا على طرد الجيش التركي من مكة و العقبة و معان و دمشق و كذا حلب<sup>2</sup>.

### الثورة في الحجاز والشام :

بدأت قوات الحسين العربية المتحالفة مع القوات الإنجليزية بالسيطرة على معظم بلاد الحجاز

، بعد استيلائها على اغلب المواقع العثمانية و طرد حامياتها ، كما قطعت المواصلات بين

شمال و جنوب الجزيرة العربية و سدت منافذ البحر الأحمر والمحيط الهندي .

جورج انطونيوس، مرجع سابق، ص. 214.

إسماعيل احمد ياغي، المرجع السابق، ص 2.17.

وفي يناير 1917 استولت القوات العربية بقيادة الفيصل بن حسين على ميناء الوجه على الساحل الشرقي للبحر الأحمر، ثم تقدمت نحو العقبة واستولت عليها في شهر جويلية من نفس العام .

وبعد ذلك انضمت القوات العربية في العقبة الى القوات الزاحفة من مصر باتجاه الشام بقيادة الجنرال النبي لطرذ الاتراك منه ، وأصبحت القوات العربية تشكل الجناح الأيمن لجيش الحلفاء .وقد ارسل فيصل مبعوثيه الى الشام لإثارة العرب ضد الحكم العثماني مستغلا سوء معاملة الوالي التركي جمال باشا للأهالي وكان مبعوثو فيصل يروجون في دعايتهم ان انتصار الجيوش الحلفاء سيحقق للشعوب العربية استقلالها، وقد أحدثت هذه الدعاية ارتباكا للقيادة الألمانية العثمانية.

وبذلك استطاعت قوات الحلفاء ان تدخل مدينة القدس في ديسمبر 1917 وانضمت الى جيش الحلفاء قوة كبيرة من عرب فلسطين<sup>1</sup> .

---

محروس ، نفسه، 490-494.<sup>1</sup>



وفي اول أكتوبر 1918 دخل الأمير فيصل على راس القوات العربية مدينة دمشق .وفي 5 أكتوبر 1918 تشكلت اول حكومة عربية في دمشق برئاسة الامير فيصل بن الحسين وبانتهاء شهر أكتوبر 1918 انسحبت القوات التركية نهائيا من بلاد الشام تحت ضغط الهجوم المشترك الذي شنه العرب والانجليز وحلفاؤهم<sup>1</sup>.

## القائمة البيبليوغرافية

### أ-المصادر:

#### 1-باللغة العربية :

1. ب. لوتسكي فلادمير، تاريخ الأقطار العربية الحديثة، تر. عفيفة البستاني، موسكو، د.ت.
2. أداموف الكسندر، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، تر. هاشم صالح التكريتي، ج. 1، دار النشر، العراق.
3. بحري لؤي، سكة حديد بغداد. دراسة في تطور ودبلوماسية قضية سكة حديد برلين-بغداد حتى عام 1914، شركة الطبع والنشر الأهلية، بغداد، 1968.
4. بروكلمان كارل، تاريخ الشعوب الاسلامية، تر. أمين فارس و منير البعلبكي، ط. 5، دار الملايين، بيروت، 2007.
5. بطاطو حنا، العراق الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية من العهد العثماني حتى قيام الجمهورية، تر. عفيف الرزاز، ج. 1، ط. 1، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1990.
6. بلورد ريد، بريطانيا والشرق الأوسط، تر. حسن أحمد السلطان، بغداد، 1956.
7. تشارلس. ف. ف. طوزند، مذكرات الفريق طوزند، تقديم اللواء الركن حامد أحمد الورد، د.ت.، الدار العربية للموسوعات.
8. جيرتورد لوثيان بيل، فصول من تاريخ العراق القريب 1914-1918، تر. جعفر الخياط، دن، بيروت، 1971.
9. سليمان موسى، المراسلات التاريخية 1914-1918، دن، عمان، 1975.
10. عبد الله بن الحسين، مذكراتي، الأهلية للنشر والتوزيع، ط. 1، عمان، 1989.

11. ج. ج. لوريمر، دليل الخليج، القسم الجغرافي، ج، تر. مكتب صاحب السمو أمير دولة قطر.

12. محمود نديم شكري، حرب العراق 1914-1918، دراسة علمية، ط. 4، شركة النبراس للنشر والتوزيع، د.ت.

13. هاسلب جون، السلطان الأحمر، تع. فيليب عطالله، دار الروائع الجديدة، بيروت، 1914.

14. ل. ن. وتلوف، ثورة العشرين الوطنية التحريرية في العراق، تر. عبد الواحد كرم، بغداد، 1985.

15. الوردى علي، لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج. 1، دار الراشد للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.

16. ويلارد آيرلند فليب، العراق. دراسة في تطوره السياسي، تر. جعفر الخياط، بيروت، 1949.

## 2- باللغة الاجنبية:

1. William L. Langar, the diplomacy Imparialism, 1890-1902, Alfred A. Konpf, New York.

## ب- المراجع:

### 1- باللغة العربية :

1. الفاعوري ابراهيم، تاريخ الوطن العربي، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، د.ت.
2. حلمي محروس إسماعيل، تاريخ العرب الحديث من الغزو العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الأولى، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2004.
3. نخبة من المثقفين العراقيين، حضارة، ج، دن، بغداد، 1985.
4. السيد عاطف، الغزو الأمريكي البريطاني للعراق، دن، 2003.

5. سليمان نوار عبد العزيز، تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داوود باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا، دار الكتاب العربي، القاهرة، د.ت.
6. زكريا الشلق أحمد، العرب والدولة العثمانية من الخضوع إلى المواجهة 1516-1916، ط. 1، مصر العربية للنشر والتوزيع، 2002.
7. أحمد ياغي إسماعيل، تاريخ العالم العربي، ط. 1، مكتبة العبيكان، دم، 2003.
8. سعدي عبدالله إيناس، تاريخ العراق الحديث 1258-1918، ط. 1، دار ومكتبة عدنان، بغداد، 2014.
9. عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي 1516-1922، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.
10. الحسني عبد الرزاق، تاريخ العراق السياسي الحديث، ط. 7، ج. 1، دار الرافدين للطباعة والنشر، دم، د.ت.
11. الدباغ تقي، العراق في التاريخ، دار الجيل للطباعة والنشر، بيروت، 1983.
12. سليمان نوار عبد العزيز، تاريخ العرب المعاصر (مصر والعراق)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1973.
13. عبد العزيز العني إبراهيم، حكومة الهند البريطانية والإدارة في الخليج العربي، دن، الرياض، 1981.
14. صالح زكي، بريطانيا والعراق حتى عام 1914، دن، بغداد، 1968.
15. زكريا قاسم جمال، الخليج العربي. دراسة لتاريخ الإمارات العربية في عصر التوسع الأروبي الأول 1507-1840، دن، القاهرة، 1977.
16. محمد صالح محمد، تاريخ أوروبا الحديث في القرن التاسع عشر، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، 1962.
17. عبد الأمير محمد أمين، القوى البحرية في الخليج العربي في القرن الثامن عشر، دن، بغداد، 1966.

18. كارلتون هيز، التاريخ الأروبي الحديث 1800-1918، تر. فاضل حسين، جامعة الموصل، 1987.
19. كامل الدسوقي محمد، تاريخ أوروبا الحديث 1800-1918، مطبعة النهضة الجديدة، القاهرة، د.ت.
20. الشناوي محمد عبد العزيز، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج. 3، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، د.ت.
21. عبد الأمير محمد أمين، المصالح البريطانية في الخليج العربي، 1743-1778، تر. مكي حبيب المؤمن، دن، بغداد، 1977.
22. عبد الرزاق ابراهيم، المسلمون والاستعمار الأروبي لإفريقيا، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، 1989.
23. نوار عبد العزيز، المصالح البريطانية في أنهار العراق 1600-1914، دن، القاهرة، 1968.
24. إبراهيم خليل و خليل علي مراد، دراسات في تاريخ إيران وتركيا الحديث والمعاصر، دن، الموصل، 1922.
25. خضر خضر، تطور العلاقات الدولية من الثورة الفرنسية وحتى بداية الحرب العالمية الأولى (1789-1914)، المؤسسة الحديثة للكتاب، بيروت، 1998.
26. محمد سلمان حسن، التطور الاقتصادي في العراق: التجارة الخارجية والتطور الاقتصادي 1864-1958، ط. 1، دن، صيدا، 1965.
27. أحمد أمين جلال، المشرق العربي والغرب، ط. 3، دن، بيروت، 1981.
28. سنو عبد الرؤوف، ألمانيا والإسلام في القرن التاسع عشر والعشرين، ط. 1، دار الفرات للنشر والتوزيع، بيروت، د.ت.
29. سليمان نوار عبد العزيز و محمود محمد جمال الدين، التاريخ الأروبي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، دار الفكر العربي، 1999.

30. عمر عبد العزيز عمر، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، 1815-1919، دار المعرفة الجامعية، د.ت.
31. جرانت هارلود، أوروبا في القرن 19 و 20، تر. بهاء فهمي، ج. 1، القاهرة، 1978.
32. جمال حجر محمود، القوى الكبرى والشرق الأوسط في القرنين التاسع عشر و العشرين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1989.
33. فرغلي علي تسن، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، ط. 1، دار الوفاء لنديا للطباعة والنشر، الإسكندرية، 2001.
34. طقوش محمد سهيل، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة العثمانية إلى الانقلاب على الخلافة، ط. 2، دار النفائس، بيروت، 2008.
35. نياز ملا محمد قربان، السلطان عبد الحميد و أثره في نشر الدعوة الإسلامية، ط. 1، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر، بيروت، 1998.
36. بركات محمد، الحرب العالمية الأولى (قصة الأطماع ومأساة الفراغ)، ط. 1، دار الكتاب العرب، دمشق، 2007.
37. أبو علي عبد الفتاح، الدولة العثمانية والوطن العربي، د.ط، دار المريخ للنشر، السعودية، د.ت.
38. عبد الهادي جمال وآخرون، في تاريخ الدولة العثمانية، ط. 1، ج. 2، دار الوفاء، المنصورة، 1990.
39. الحسن عيسى، الدولة العثمانية، د.ط، الأهلية للنشر والتوزيع، الإسكندرية، د.ت.
40. بديع محمد شريف، دراسات في تاريخ النهضة العربية، د.ط، دن، القاهرة، د.ت.
41. سنو عبد الرؤوف، رحلة الإمبراطور وليم الثاني إلى الشرق في مرآة الصحف العربية المعاصرة، بيروت، د.ت.
42. الصلابي محمد، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ط. 1، الإسلامية بور سعيد للنشر والتوزيع، د.ت.

43. يحيى جلال، التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر حتى الحرب العالمية الأولى، ج. 2، دار الفكر للدراسات، القاهرة، د.ت.
44. هيرزوير لوكاز، ألمانيا الهتلرية والمشرق العربي، تر. أحمد عبد الرحيم مصطفى، القاهرة، د.ت.
45. العيدروس محمد حسن، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، ط. 2، عين للدراسات والبحوث الإسلامية والاجتماعية، الكويت، 1998.
46. زكي محمد فاضل، الدبلوماسية في النظرية والتطبيق، دن، بغداد، ط. 2، 1968.
47. المنصور ميمونة حمزة، تاريخ الدولة العثمانية، ط. 1، دار الحامد، عمان، 2008.
48. أحمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ الاسلامي، ط. 1، دار الشروق للطباعة والنشر، بيروت، 1982.
49. سمور زهدي عبد المجيد، تاريخ العرب المعاصر، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، القاهرة، 2008.
50. سليمان نوار عبد العزيز، وثائق تاريخ العرب الحديث. الجزيرة العربية في الوثائق التاريخية، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ط. 1، د.ت.
51. سعيد أمين، الثورة العربية الكبرى، النضال بين العرب والترك، مكتبة مدبولي، القاهرة، د.ت.

## 2- باللغة الاجنبية:

1. Stepen hemslay, longgrig, four conturies of modern Irak, trad. djaafar khiat, oxford.

## ج- الرسائل الجامعية:

1. اراس حسين الفت، سكة حديد برلين-بغداد 1880-1914. دراسة في العلاقات الدولية، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة بغداد، 2015.

2. غانيو بعيو، التنظيمات العثمانية وآثارها على الولايات العربية الشام والعراق نموذجا 1839-1876، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، خميس مليانة، 2009.

#### د- المجالات والدوريات:

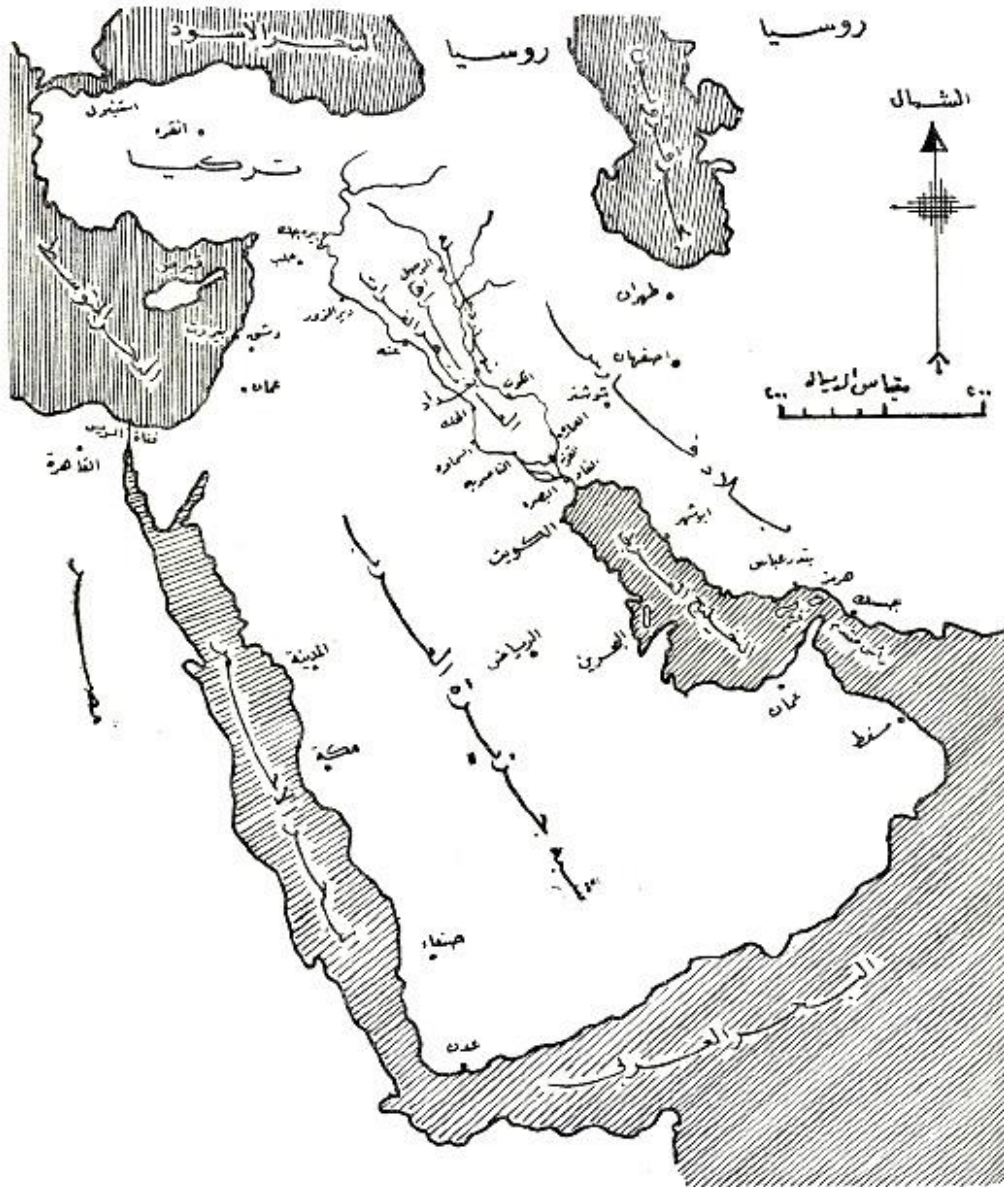
1. هاشم صالح التكريتي، "التغلغل الألماني في المشرق العربي قبيل الحرب العالمية الأولى"، في: مجلة المؤرخ العربي، ع. 26، السنة 11، بغداد، 1985.
2. يوسف حسين يوسف عمر، "موقف بريطانيا من سكة حديد بغداد 1898-1914"، في: المجلة الأردنية للتاريخ و الآثار، ع. 4، مج. 6، 2012.

#### ن- الموسوعات والمعاجم:

1. بكر محمد إبراهيم، الدولة العثمانية، موسوعة التاريخ الاسلامي، ط. 1، مركز الراية للنشر والاعلام، القاهرة، 2006.
2. فراس البيطار، الموسوعة السياسية و العسكرية، ج. 1، دار أسامة للنشر و التوزيع، عمان، 2003.



# الملحق رقم 1



العراق : « قلب الشرق الاوسط »

## الملحق رقم 2



## القائمة البيبليوغرافية

### أ-المصادر:

#### 1-باللغة العربية :

1. ب. لوتسكي فلادمير، تاريخ الأقطار العربية الحديثة، تر. عفيفة البستاني، موسكو، د.ت.
2. أداموف الكسندر، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، تر. هاشم صالح التكريتي، ج. 1، دار النشر، العراق.
3. بحري لؤي، سكة حديد بغداد. دراسة في تطور ودبلوماسية قضية سكة حديد برلين-بغداد حتى عام 1914، شركة الطبع والنشر الأهلية، بغداد، 1968.
4. بروكلمان كارل، تاريخ الشعوب الاسلامية، تر. أمين فارس و منير البعلبكي، ط. 5، دار الملايين، بيروت، 2007.
5. بطاطو حنا، العراق الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية من العهد العثماني حتى قيام الجمهورية، تر. عفيف الرزاز، ج. 1، ط. 1، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1990.
6. بلورد ريد، بريطانيا والشرق الأوسط، تر. حسن أحمد السلطان، بغداد، 1956.
7. تشارلس. ف. ف. طوزند، مذكرات الفريق طوزند، تقديم اللواء الركن حامد أحمد الورد، د.ت.، الدار العربية للموسوعات.
8. جيرتورد لوثيان بيل، فصول من تاريخ العراق القريب 1914-1918، تر. جعفر الخياط، دن، بيروت، 1971.
9. سليمان موسى، المراسلات التاريخية 1914-1918، دن، عمان، 1975.
10. عبد الله بن الحسين، مذكراتي، الأهلية للنشر والتوزيع، ط. 1، عمان، 1989.

11. ج. ج. لوريمر، دليل الخليج، القسم الجغرافي، ج، تر. مكتب صاحب السمو أمير دولة قطر.

12. محمود نديم شكري، حرب العراق 1914-1918، دراسة علمية، ط. 4، شركة النبراس للنشر والتوزيع، د.ت.

13. هاسلب جون، السلطان الأحمر، تع. فيليب عطالله، دار الروائع الجديدة، بيروت، 1914.

14. ل. ن. وتلوف، ثورة العشرين الوطنية التحريرية في العراق، تر. عبد الواحد كرم، بغداد، 1985.

15. الوردي علي، لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج. 1، دار الراشد للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.

16. ويلارد آيرلند فليب، العراق. دراسة في تطوره السياسي، تر. جعفر الخياط، بيروت، 1949.

## 2- باللغة الاجنبية:

1. William L. Langar, the diplomacy Imparialism, 1890-1902, Alfred A. Konpf, New York.

## ب- المراجع:

### 1-باللغة العربية :

1. الفاعوري ابراهيم، تاريخ الوطن العربي، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، د.ت.
2. حلمي محروس إسماعيل، تاريخ العرب الحديث من الغزو العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الأولى، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2004.
3. نخبة من المثقفين العراقيين، حضارة، ج، دن، بغداد، 1985.
4. السيد عاطف، الغزو الأمريكي البريطاني للعراق، دن، 2003.

5. سليمان نوار عبد العزيز، تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داوود باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا، دار الكتاب العربي، القاهرة، د.ت.
6. زكريا الشلق أحمد، العرب والدولة العثمانية من الخضوع إلى المواجهة 1516-1916، ط. 1، مصر العربية للنشر والتوزيع، 2002.
7. أحمد ياغي إسماعيل، تاريخ العالم العربي، ط. 1، مكتبة العبيكان، دم، 2003.
8. سعدي عبدالله إيناس، تاريخ العراق الحديث 1258-1918، ط. 1، دار ومكتبة عدنان، بغداد، 2014.
9. عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي 1516-1922، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.
10. الحسيني عبد الرزاق، تاريخ العراق السياسي الحديث، ط. 7، ج. 1، دار الرافدين للطباعة والنشر، دم، د.ت.
11. الدباغ تقي، العراق في التاريخ، دار الجيل للطباعة والنشر، بيروت، 1983.
12. سليمان نوار عبد العزيز، تاريخ العرب المعاصر (مصر والعراق)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1973.
13. عبد العزيز العني إبراهيم، حكومة الهند البريطانية والإدارة في الخليج العربي، دن، الرياض، 1981.
14. صالح زكي، بريطانيا والعراق حتى عام 1914، دن، بغداد، 1968.
15. زكريا قاسم جمال، الخليج العربي. دراسة لتاريخ الإمارات العربية في عصر التوسع الأروبي الأول 1507-1840، دن، القاهرة، 1977.
16. محمد صالح محمد، تاريخ أوروبا الحديث في القرن التاسع عشر، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، 1962.
17. عبد الأمير محمد أمين، القوى البحرية في الخليج العربي في القرن الثامن عشر، دن، بغداد، 1966.

18. كارلتون هيز، التاريخ الأروبي الحديث 1800-1918، تر. فاضل حسين، جامعة الموصل، 1987.
19. كامل الدسوقي محمد، تاريخ أوروبا الحديث 1800-1918، مطبعة النهضة الجديدة، القاهرة، د.ت.
20. الشناوي محمد عبد العزيز، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج. 3، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، د.ت.
21. عبد الأمير محمد أمين، المصالح البريطانية في الخليج العربي، 1743-1778، تر. مكي حبيب المؤمن، دن، بغداد، 1977.
22. عبد الرزاق ابراهيم، المسلمون والاستعمار الأروبي لإفريقيا، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، 1989.
23. نوار عبد العزيز، المصالح البريطانية في أنهار العراق 1600-1914، دن، القاهرة، 1968.
24. إبراهيم خليل و خليل علي مراد، دراسات في تاريخ إيران وتركيا الحديث والمعاصر، دن، الموصل، 1922.
25. خضر خضر، تطور العلاقات الدولية من الثورة الفرنسية وحتى بداية الحرب العالمية الأولى (1789-1914)، المؤسسة الحديثة للكتاب، بيروت، 1998.
26. محمد سلمان حسن، التطور الاقتصادي في العراق: التجارة الخارجية والتطور الاقتصادي 1864-1958، ط. 1، دن، صيدا، 1965.
27. أحمد أمين جلال، المشرق العربي والغرب، ط. 3، دن، بيروت، 1981.
28. سنو عبد الرؤوف، ألمانيا والإسلام في القرن التاسع عشر والعشرين، ط. 1، دار الفرات للنشر والتوزيع، بيروت، د.ت.
29. سليمان نوار عبد العزيز و محمود محمد جمال الدين، التاريخ الأروبي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، دار الفكر العربي، 1999.



30. عمر عبد العزيز عمر، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، 1815-1919، دار المعرفة الجامعية، د.ت.
31. جرانت هارلود، أوروبا في القرن 19 و 20، تر. بهاء فهمي، ج. 1، القاهرة، 1978.
32. جمال حجر محمود، القوى الكبرى والشرق الأوسط في القرنين التاسع عشر و العشرين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1989.
33. فرغلي علي تسن، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، ط. 1، دار الوفاء لنديا للطباعة والنشر، الإسكندرية، 2001.
34. طقوش محمد سهيل، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة العثمانية إلى الانقلاب على الخلافة، ط. 2، دار النفائس، بيروت، 2008.
35. نياز ملا محمد قربان، السلطان عبد الحميد و أثره في نشر الدعوة الإسلامية، ط. 1، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر، بيروت، 1998.
36. بركات محمد، الحرب العالمية الأولى (قصة الأطماع ومأساة الفراغ)، ط. 1، دار الكتاب العرب، دمشق، 2007.
37. أبو علي عبد الفتاح، الدولة العثمانية والوطن العربي، د.ط، دار المريخ للنشر، السعودية، د.ت.
38. عبد الهادي جمال وآخرون، في تاريخ الدولة العثمانية، ط. 1، ج. 2، دار الوفاء، المنصورة، 1990.
39. الحسن عيسى، الدولة العثمانية، د.ط، الأهلية للنشر والتوزيع، الإسكندرية، د.ت.
40. بديع محمد شريف، دراسات في تاريخ النهضة العربية، د.ط، دن، القاهرة، د.ت.
41. سنو عبد الرؤوف، رحلة الإمبراطور وليم الثاني إلى الشرق في مرآة الصحف العربية المعاصرة، بيروت، د.ت.
42. الصلابي محمد، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ط. 1، الإسلامية بور سعيد للنشر والتوزيع، د.ت.

43. يحيى جلال، التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر حتى الحرب العالمية الأولى، ج. 2، دار الفكر للدراسات، القاهرة، د.ت.
44. هيرزوير لوكاز، ألمانيا الهتلرية والمشرق العربي، تر. أحمد عبد الرحيم مصطفى، القاهرة، د.ت.
45. العيدروس محمد حسن، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، ط. 2، عين للدراسات والبحوث الإسلامية والاجتماعية، الكويت، 1998.
46. زكي محمد فاضل، الدبلوماسية في النظرية والتطبيق، دن، بغداد، ط. 2، 1968.
47. المنصور ميمونة حمزة، تاريخ الدولة العثمانية، ط. 1، دار الحامد، عمان، 2008.
48. أحمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ الاسلامي، ط. 1، دار الشروق للطباعة والنشر، بيروت، 1982.
49. سمور زهدي عبد المجيد، تاريخ العرب المعاصر، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، القاهرة، 2008.
50. سليمان نوار عبد العزيز، وثائق تاريخ العرب الحديث. الجزيرة العربية في الوثائق التاريخية، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ط. 1، د.ت.
51. سعيد أمين، الثورة العربية الكبرى، النضال بين العرب والترك، مكتبة مدبولي، القاهرة، د.ت.

## 2- باللغة الاجنبية:

1. Stepen hemslay, longgrig, four conturies of modern Irak, trad. djaafar khiat, oxford.

## ج- الرسائل الجامعية:

1. اراس حسين الفت، سكة حديد برلين-بغداد 1880-1914. دراسة في العلاقات الدولية، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة بغداد، 2015.

2. غانيو بعيو، التنظيمات العثمانية وآثارها على الولايات العربية الشام والعراق نموذجا 1839-1876، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، خميس مليانة، 2009.

#### د- المجالات والدوريات:

1. هاشم صالح التكريتي، "التغلغل الألماني في المشرق العربي قبيل الحرب العالمية الأولى"، في: مجلة المؤرخ العربي، ع. 26، السنة 11، بغداد، 1985.
2. يوسف حسين يوسف عمر، "موقف بريطانيا من سكة حديد بغداد 1898-1914"، في: المجلة الأردنية للتاريخ و الآثار، ع. 4، مج. 6، 2012.

#### ن- الموسوعات والمعاجم:

1. بكر محمد إبراهيم، الدولة العثمانية، موسوعة التاريخ الاسلامي، ط. 1، مركز الراية للنشر والاعلام، القاهرة، 2006.
2. فراس البيطار، الموسوعة السياسية و العسكرية، ج. 1، دار أسامة للنشر و التوزيع، عمان، 2003.

## خاتمة

- من خلال الدراسة التي قمنا بها توصلنا إلى مجموعة من الاستنتاجات أهمها :
- لقد استمر الحكم العثماني في العراق قرابة أربعة قرون، و كان ذلك من تاريخ غزوه في عهد سليمان القانوني إلى غاية نهاية الحرب العالمية الأولى و وقوعه تحت الاحتلال البريطاني.
  - كان ظهور بريطانيا كقوة لأول مرة في الخليج العربي وبالضبط في العراق بداية من القرن السابع عشر، وذلك لغرض التجارة حيث تركزت سياسة بريطانيا في العراق على الهند من خلال الصلة الوثيقة بين ما يجري في شبه القارة الهندية ومسارها عبر الخليج العربي.
  - إن نشأة التمثيل الدبلوماسي البريطاني في العراق وتطوره منذ القرن التاسع عشر يرجع الى نمو وتشعب المصالح البريطانية في كل المجالات، حيث تمتع الدبلوماسيون البريطانيون في العراق بنفوذ كبير مقارنة بأقرانهم الدبلوماسيين الأجانب العاملين في العراق والسلطات العثمانية كانت عاجزة عن الحد من نفوذ الدبلوماسيين البريطانيين او نمو المصالح البريطانية.
  - رغم أن معاهدة سان ستيفانو كانت من المعالم البارزة التي كادت تؤدي بالدولة العثمانية الى الهاوية، إلا أن مؤتمر برلين 1878، الذي دعا إليه بسمارك الالمانى جاء من أجل تعديل هذه المعاهدة هو المعلم الخطير الذي سلخ عن الدولة العثمانية عددا من أملاكها.
  - أسهمت عدة أمور في ظهور المانيا كقوة عالمية فاعلة إلا أن سياستها الدولية تجاه الدولة العثمانية، لم تظهر بوضوح إلا عندما تولى ولهم الثاني سياسة جديدة للاندفاع نحو الشرق، وبنفس الوقت قام وليم الثاني بعدة خطوات في هذا الاتجاه من خلال تخليه عن السياسة الالمانية التقليدية، فضلا عن ذلك كانت بريطانيا لا تتظر بريبة تجاه حركات

الالمان في فترة من الفترات تجاه الدولة العثمانية، ولكن عندما بدأت الامور تتوضح تغيرت سياسة بريطانيا تجاهها.

● بدأت العلاقات العثمانية الالمانية كضرورة ملحة ثم تحولت لعلاقة صداقة توجت بزيارتين للإمبراطور ولهم الثاني للأستانة، توجت فيما بعد بمشاريع مختلفة أهمها اقتصادية وعسكرية، أسفرت عن حدوث تقارب عثماني ألماني في ما يشبه الحلف.

● كان أغلب القادة الاتحادين نتاجا للسياسة التي اتبعها السلطان عبد الحميد الثاني، في إرسال الضباط للتدريب في ألمانيا، فكان من المنطقي أن يكون لديهم كامل التوجه صوب ألمانيا ويعطيهم الدفع القوي لدخول غمار الحرب العالمية الأولى لجانبهم.

● كانت سكة حديد برلين-بغداد محور تجاذبات ومساومات الدول الكبرى، إذ سعت كل الأطراف إلى الاشتراك في المشروع، فمثلا كانت بريطانيا تسعى إلى إتمام المشروع ولكن وفق شروطها، التي كانت تتمحور حول سيطرتها على الجزء الجنوبي من السكة وحصولها على حصص مساوية لباقي الشركاء.

● أما ألمانيا صاحبة المشروع، فعدت سكة حديد برلين-بغداد هي رأس الرمح الذي تخترق به الدولة العثمانية وتمس مصالح الدول الكبرى، لذا كانت تسعى جاهدة إلى إتمام المشروع مع احتفاظها بخصوصيتها في السيطرة والتفرد.

● لقد كانت هناك العديد من الأحداث البارزة على الساحة العراقية خلال الحرب العالمية الأولى والتي تمثلت في نشوب معارك بين الدولة العثمانية وبريطانيا أفضت إلى خروج العراق من الحكم العثماني واحتلاله من طرف بريطانيا سنة 1918.

الفهرس

الصفحة	العنوان	الرقم
	كلمة شكر.	أ
	إهداء .	ب
	مقدمة.	ج
	الفصل الأول:نبذة تاريخية حول العراق.	
	حدود العراق.	1
	التركيبة البشرية.	2
	الخصائص الطبيعية للعراق.	3
	اوضاع العراق في الفترة العثمانية.	4
	سياسيا.	أ
	اقتصاديا.	ب
	حرفيا.	ج
	ظهور المماليك.	5
	التنظيمات العثمانية.	6
	الفصل الثاني:المصالح البريطانية والالمانية في العراق.	
	التغلغل البريطاني في العراق.	1
	المصالح السياسية و الاستراتيجية.	أ
	المصالح الاقتصادية.	ب
	التبشير.	ج
	العلاقات العثمانية الالمانية قبل الوحدة.	2
	الوحدة الالمانية.	3
	الازمات قبل مؤتمر برلين.	4

	أ	الازمة البلقانية 1875.
	ب	الحرب الروسية العثمانية 1877.
	ج	معاهدة سان ستيفانو 1878.
	د	مؤتمر برلين 1878.
	5	التقارب العثماني الالمانى وموقف الدول الاوروبية.
		الفصل الثالث التنافس الانجليزى الالمانى ونتائجه.
	1	العلاقات الانجليزية الالمانية.
	أ	التمثيل الدبلوماسى فى العراق.
	ب	التمثيل الدبلوماسى فى بغداد.
	ج	مهام الدبلوماسيين البريطانيين فى العراق.
	د	العلاقات مع السلطات العثمانية فى العراق.
	هـ	العلاقات مع القبائل العربية وأقليات دينية.
	2	التغلغل الالمانى فى الدولة العثمانية.
	3	إمتياز سكة حديد برلين - بغداد.
	أ	موقف بريطانيا من السكة 1898-1914.
	4	الملاحم الاولى للحرب العالمية الاولى 1914.
	5	دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الاولى مع المانيا.
	6	حملة الدردنيل 1915.
	7	الثورة العربية الكبرى 1916.
	8	أحداث الحرب العالمية الالى فى العراق.
		خاتمة.
		القائمة الببليوغرافية.
		الملاحق.
		قائمة المختصرات.

